الرحلات الهندية

راجستان بلاد الملوك

زيارة وحديث عن المسلمين

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

ⓒ محمد بن ناصر العبودي، ١٤١٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي، محمد بن ناصر

راجستان بلاد الملوك: زيارة وحديث عن المسلمين ـ الرياض.

١٦٧ص؛ ١٧×٢٤سم

ردمك: ١ -٨٣ - ٧٨٥ - ٩٩٦٠

١- المسلمون في الهند ٢-الهند ـ وصف ورحلات أ- العنوان

ديوي ٩١٥٤، ٢١٠ ١٧/٣٥٧٢

رقم الإيداع: ١٧/٣٥٧٢

ردمك: ١-٨٣-٧٨٥-٩٩٦٠



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والتسليم على النبي الكريم سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه، ومن والاه واتبع هداه.

أما بعد: فإن هذا كتاب من الكتب التي ألفتها عن زيارات عديدة في بلاد الهند الواسعة، وهي كتب اعتنت كلها أول ما اعتنت بالحديث عن الإخوة المسلمين من أهل الهند، وعن مؤسساتهم الإسلامية التي بنوها بعرق الجبين، وأقاموها في أوقات لم يكونوا يجدون فيها من معين، فكانوا بذلك السباقين إلى هذا الأمر العظيم الذي حرى بإخوانهم في البلاد الأخرى أن يقتدوا بهم، وينهجوا في هذا الأمر نهجهم.

وبعد أن زاد اتصال بلادنا السعودية بالإخوة المسلمين من أهل الهند، وكثر تقديم المعونة من بلادنا إليهم من أجل ازدهار مؤسساتهم الإسلامية، ومن أجل إنشاء مؤسسات إسلامية جديدة كان لا بد من رجال منا يوكل إليهم النظر في كيفية انفاذ المزيد من الخير الجديد فكان لكاتب هذه السطور نصيب وأي نصيب مما جعله يكرر الزيارات، في عدد من الأوقات، وفي كافة الولايات الهندية.

وكان من ديدنه في طبعه، وسيرته في ترحاله، أن يدون ما يراه أو يسمعه في البلاد التي يزورها، فكان من ذلك هذا الكتيب عن ولاية

(راجستان) التي يدل اسمهـا على أنها بلاد الملوك، لأن (راجا) ملَك، أو أمـير دون الملـك، ولـكنـه الحـاكـم الذي إذا لـم تـصـح تسـمـيـتـه بـالملِك اصطلاحاً فإنها صحيحة لغة. و(ستان): بلاد.

وإنني أرجو أن يـجد القارىء الكريم فيـه ما عودته عليـه من الحديث المفصـل عما أراه والمختار لمـا اسمعه مما يـتعلق بما أراه، وأن أجـد عند القـارىء الكريم لقـاء ذلك ماعـودني عليـه من التـشجيع وحُسْن الـظن، والله المستعان.

مكة المكرمة:

المؤلف

محمد بن ناصر العبُّودي



بنجاب
هريانا
اترابراديش
باكستان
دهلي
كفكانغر
حورو
بيكانير
جنجنن
الوار
بهرتفور
جيسالمار
جيفور
جود هفور
اجمير
سروهي
جتورجرة
غجرات
مدهيا براديش
شرقًا: ولاية اترابراديش
غربًا: بلاد باكستان
شمالاً: ولايتا هريانا وبنجاب
جنوبًا: ولايتا مدهيا براديش وغجرات
خريطة ولاية راجستان

ولاية راجستان:

تقع ولايـة (راجستان) في غرب الـهند وتعتبـر في الدرجة الثانـية من ولايات الهند بالنسبة إلى مساحـتها، إذ تبلغ ٢٣٩و٣٤٢ كيلو متر مربع. وعدد سـكانها ٦٤٠و١٨٠و٣٨ نـسمة، وفق إحـصاء عام ١٩٩١ وفيـها ٢٧ مديـرية وكثافـة سكانهـا تبلغ ١٣٨ نـسمة فـي كل كيلـو متر مربـعاً، وعدد المسلمين ونسبتهم إلى السكان وفق الاحصائيات المختلفة كما يلي:

العـــام	عدد المسلمين	النسبة المئوية
١٩٥١م	٢٤١و٩٩١	٢١و٦
١٩٦١م	٦١٣و٣١٤و١	٥٢و٦
١٩٧١م	٢٧٥و٧٧٨و١	٤٠و٦
١٩٨١م	١٤٥و٤٩٤و٢	٢٨و٧

وتبلـغ نسبة السكـان في ولاية راجستـان ثلاثة أشخاص من كـل مائة من سكان الهنـد، وعدد المسلمين في إحدى مديريات راجـستان أكثر من



شارع كشن بول (كشن بول بازار) في وسط مدينة جيفور عاصمة راجستان

٢٠٪، وفي خمس مديريات أكثر من ١٠٪، وفي إحدى عشرة مديرية أكثر من ٥٪، وفي مديريتين أكثر من ٢٪.

وتقع أربع مديريات من الولاية هي سيروهي، أودي فور، ودونغر فور، وبانس وادا في جنوب راجستان عند حدود ولاية كجرات، وعدد المسلمين في هذه المديريات أقل من ٣٪.

والمسلمون في «بيكانير» و«سيكر» و«جوده فور» «ناغور» و«بارمير» أكثر من ١٠٪، ولكن أقل من ١٢٪.

وتقع مديرية «جيل مير» في أقصى غرب راجستان وهي منطقة صحراوية عدد سكانها قليل جداً، فهو ٦٣٧٩ نسمة فقط، ونسبة سكان المسلمين فيها ١٩و٢٣٪، وعدد المسلمين في مديرية «جي فور» ١٩٨و٤٩و٢ نسمة، ولكن نسبتهم في الولاية كلها ٢٨و٢٪ فقط.

هذا وكانت بلاد (راجستان) تسمى قديماً بلاد (الراجبوات) أو (راجبوتانه). هكذا ذكرها المصنفون من علماء الهند الذين ذكروها في مصنفاتهم التي كتبوها بالعربية ومنهم الشيخ السيد عبد الحي الحسيني والد العلامة المعروف الأستاذ السيد أبي الحسن الندوي الهندي، قال في كتابه (الهند في العهد الإسلامي):

راجبوتانه:

راجبوتانه كورة كبيرة من الهند، طولها ثمان وستون ومائة ميل، وعرضها خمسون ومائة ميل، يحدها من الشرق والشمال أرض دهلي، ومن الجنوب أرض كجرات، ومن الغرب أرض السند، وما اتصل منها بأرض السند فهي أرض فيها رمال كثيرة، ومدار الزرع بها

على المطر، وفيها معادن من كربونات الرصاص، وقطع من المنيريا، والنحاس، والحديد، وأرضها مستوية إلا ماندر، وهذا الإقليم منسوب إلى «راجبوت» وهم أهل الجند، ومنهم الولاة والحكام، ومعنى «راجبوت» أبناء الملوك، وقد مرّ فيما تقدم أن أهل الهند أربعة أقسام، ثانيهم أهل الجند وهم ذوو النجدة والسلاح.

وأرض هذا الإقليم على ثلاثة أقسام: القسم الأول منها «ميوار» طولها أربعون ميلاً، وعرضها ثلاثون ميلاً، وفيها ثلاث قلاع لا نظير لها في الحصانة، «جتور»، و«كوهملير»، و«ماندل».

وفيها معادن، ففي «كوكندة» معدن الأسرب، وفي ناحية «ماندل» معدن النحاس، وأمير تلك الناحية يلقب براول ثم برانا، ويزعم أنه من نسل أنوشيروان الكياني، وأشهر مدنها «جفور» و«أوديبور» و«ماندل» و«نيمج».

والقسم الثاني منها «ماروار» طولها مائة ميل، وعرضها ستون ميلاً، وأهلها «رائهور» من نسل «جى جند» سلطان «قنوج».

وفيها الحصون الكثيرة، ومن أحصنها قلاع «أجمير» و«جودهبور» و«بيكانير» و«جيسلمير» و«أمركون» و«ديوكده» و«جالور».

والقسم الثالث منها «هادوني» المنسوب إلى أهلها «هاده» قبيلة من قبائل راجبوت، وأما أشهر مدنها فجيبور، وأجمير، وسانبهر، وأوديبور، وجودهبور، وكونه، وبوندى، ونونك، وناكور، وبيكانير، وجيسلمير، وغيرها من البلاد.

وقال في موضع آخر:

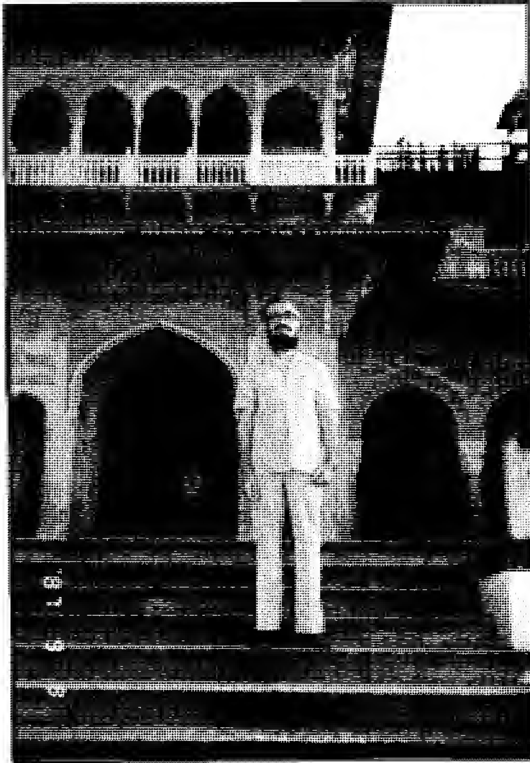
وأشهر مدنها «أجْمِير» بفتح الهمزة وإسكان الجيم وكسر الميم مثناة تحتية وراء مهملة، مدينة قديمة ذات أسوار مبنية بالحجارة، مداخلها جميلة، وبيوتها متسعة، تبعد عن دهلي (٢٧٨) ثمانية وسبعين ومائتين ميل، وفيها ضريح الشيخ معين الدين حسن السجزي رحمه الله.

«نَاكور» بالنون المفتوحة والألف والكاف الفارسية والواو والراء المهملة، كانت بلدة كبيرة حسنة الأسواق، بنى بها محمد باهليم أحد ملوك الهند في عهد بهرام شاه الغزنوى قلعة حصينة في جبال «سوالك».

«أوديبور» مدينة عامرة في «ميوار» إلى الجنوب الغربي من «أجمير»، يسكن بها أمير تلك الناحية، يقال له «رانا».

«جودهبور» بلدة عامرة على بُعْد ثلاثمائة ميل من دهلي إلى الجنوب الغربي، وهي قاعدة بلاد «ماروار»، يسكن بها أمير تلك الناحية، وأهم مصنوعاتها العاج والآنية.

«جيبور» بفتح الجيم، بلدة كبيرة، مليحة الأسواق، حسنة



في مدخل قصر مهراجا - أي الملك - جيفور

الأبنيـة بناها (راجه جى سنـكه) على بُعْد سبـعين ومائة ميل مـن دهلي، وهي أظرف مدن الهند، وأزقتها الكبرى تـتقاطع بزوايا قائمة، وكل قطع منها يتألف منه سوق، وتقطـعها أزقة أصغر من الأولى، و أواسط المدينة يشغلها المقام المـلكي، ومن الأبنية العمومية المشهورة فيـها المرصد الكبير والترسانة.

يوم الاثنين: ١٤/١/١٤٠٨هـ ٧/٩/١٩٨٧م.

من ولاية كجرات إلى ولاية راجستان:

قاربت الشمس على المغيب وحان موعد الخروج إلى المطار إذ المقرر قيام الطائرة من مدينة أحمد آبادعاصمة ولاية كجرات، إلى مدينة جيفور عاصمة ولاية (راجستان) في السابعة والنصف.

ولكن الزحام كان لا يزال بالغاً في الشوارع لأن الناس كانوا منصرفين من الأسواق والأعمال إلى منازلهم.

ولقد عجبت كثيراً من صبر سائقنا (محمد إمام) على قيادة سيارته في هذا الزحام البالغ الذي يسير فيه المشاة بين السيارات لا يمنعهم من ذلك مانع من خشية الخطر، أو من ابتغاء النظام.

وقلت له مراراً: إنني أشعر أن القيادة في وسط المدينة المزدحم هذا هي تحطيم للأعصاب فضحك وقال: إنني متعود على ذلك.

ويبعد المطار عن مدينة أحمد آباد خمسة عشر كيلو متر، ولكن الطريق إليه مزدحم بالشاحنات التي تنفث دخانها المؤذي، وكذلك كثرت فيه الإبل التي تجر العربات أكثر من داخل المدينة.

من أحمد آباد إلى جيفور :

قامت طائرة شركة (إيرإنديان) في الثامنة إلا ثلثاً من مطار أحمد آباد عاصمة ولاية كجرات وهي من طراز بوينغ ٧٣٧ الذي هو أكثر الطائرات عملاً بين المدن الهندية ما عدا الكبيرة منها مثل بومبيء، ودلهي، وكلكتا، فإن الطائرات فيها تكون من طراز إيرباص أحياناً.

وقد نهضت الطائرة مسرعة مزمجرة بحملها الثقيل إذْ الركاب قد

ملؤا مقاعدها كلها كما هي العادة في هذه الطائرات في الهند.

كما أن الطيارين يرفعون الطائرة رفعاً مباشراً وبسرعة دون التدرج الذي نعهده في الطائرات الأخرى، وربما كان هذا من عدم مبالاتهم براحة الراكبين.

وكانت الضيافة والوقت وقت عشاء شطيرتين من الخبز صغيرتين إحداهما داخلها ورقة من الخضرة المطبوخة والثانية مسحت مسحاً خفيفاً بالزبدة وفطيرة في حجم الأصبعين دون لحم، وقليل من المقبلة (الصلصة) الحارة أما الشراب فإنه كأس من عصير العمبة (المانقو).

وكان جاري في المقعد هندوكياً ثرياً يدل على ذلك ثقل جسمه، وشيء مهم آخر وهو أنه يحمل منديلا وردياً ينظف به أنفه، وهو بهذا يكاد يكون بدعاً من الأمر بين عامة الناس هنا الذين يمسحون أنوفهم بأيديهم.

سألني من أي بلد أكون؟ فقلت: من السعودية. فقال بسرعة وبتأثر: السعودية صديقة لباكستان.

فقلت: وللهند، فسكت، ثم قلت له: أتعرف مشكلات في صداقة السعودية مع الهند؟ فقال: لا. فقلت له: إننا نتمسك بالإسلام الذي يوصي برعاية العهد والمحافظة عليه والإحسان إلى الجميع.

فقال: المسلمون يقتلون الهندوك، يشير بذلك إلى أخبار اضطرابات في إحدى مدن الهند. فقلت له: أنت تعلم أن المسلمين الآن في حالة ضعف وهم أقلية عددية قليلة، وليس لهم من نصيب في الإدارة كما للهنادكة، فكيف يقتلونهم؟وإذا وقعت اضطرابات فإن عواطف الشرطة مع الهنادك.

فسكت مقتنعاً فيما يبدو فقلت له: ولكن أرى أن الانصاف يقتضي منا أن نذكر القديم عندما كان المسلمون يحكمون الهند، وكان الهنادكة تحت إرادة المسلمين وفي ذلك الوقت كان التعصب الديني والمذهبي هو السائد في العالم، ولو أراد المسلمون قتل الهنادكة أو إجبارهم على الدخول في الإسلام ومن لم يسلم منهم قتلوه لفعلوا ذلك دون أن يعرف العالم الخارجي شيئاً من الأمر، فضلاً عن أن يستنكره أو يحرك ساكناً من أجله، لأنه ليس هناك قبل ثمانية قرون وما تلا ذلك الوقت من مواصلات بل لم يكن هناك رأي عام دولي.

فلو كان المسلمون يريدون قتل الهنادكة لقتلوهم في ذلك الحين فكيف يريدون قتلهم الآن؟

فقال: هذا صحيح، وقد أظهر أنه مقتنع من كلامي وهو مثقف، وربما كان يشغل منصباً كبيراً.

وهكذا يمكن اقناع بعض المفكرين من الهنادكة بأن الإسلام فيه الخير لهم ولغيرهم وبأن المسلمين المعاصرين ليسوا أعداء لهم، ولا للوطن الهندي. وأن هذه الاضطرابات الطائفية الحاضرة مفروضة عليهم نتيجة لاستفزاز المتعصبين من الهنادكة أنفسهم.

وبينما كنا نتحدث أعلنت المضيفة باللغة الهندية كالمعتاد ثم بالانجليزية أننا نقترب الآن من مطار (جودفور) ولم أكن أعرف أن الطائرة ستمر بها فظننتها قالت: (جيفور).

وبعد (٣٥) دقيقة من الطيران نزلت في مطار صغير وهو مناسب للبلدة التي بقربه حسبما رأيناه من أنوارها في الليل التي لم تكن ساطعة ولا واسعة.

وكان نـزول الطـائرة مزعـجاً جـداً ربما كـان سبب ذلـك قصـر المدرج بالنسبة إلى هذه الطائرة النفاثة، والمزعج أنها وهي تنزل تمايلت قليلاً.

نزل بـعض الركـاب وكانوا أعـلنوا فـي المطار عـند القـيام أن الطـائرة ستذهب بعد (جيفور) إلى دلهي. فظـننت أننا وصلنا جيفور، وأن الركاب الذين بقوا في الطائرة هم الذين سيـذهبون إلى دلهي. ونزلت من الطائرة فلمـا وصلت مبـنى المطار قال لـي موظف واقف عـند بابه: إلـى أين أنت ذاهب؟ فقلت: إلى جيفور. فطلـب أن يرى تذكرتي وهذا غريب أن ينظر موظف إلى تـذكرة راكب عند مبنـى مطار الوصول، ولكـن تبين أن ذلك لحكمـة. إذْ أعاد إليّ التذكـرة وقال: هذه ليـست (جيفور) هـذه (جدفور). ينبغـي أن تعود إلى الطائرة وقد فـعل مثل ذلك مع ركاب من أهـل الهند. وتبين أن كثيراً من الركاب كانوا يغلطون في الاسم فينزلون في (جدفور) هذه يظنونها (جيفور).

من جدفور إلى جيفور:

لبثت الـطائرة في مطار (جدفـور) هذا ٣٥ دقيقة ثم ركب فـيها ركاب جدد وأعـلنت المـضيفـة أن المسافـة بينـهما فـي حدود ٣٠٠ كم. وقـد نزل جاري المثـقف وحل محـله في المقعـد راكب جديد كان يـعطس كثـيراً في كفيه يجمعهـما ثم يستر بهما وجهه ويمرخ إحداهما بـالأخرى تفادياً لبقاء البلل الذي يخرج من أنفه على بقعـة واحدة منهما، وليس معه مناديل من الورق كم كان مع الأول.

وكـان قيـام الطـائـرة في الـتاسـعـة إلا عشـر دقـائق وجـاري يواصـل عطاسه، وأنا أخاف من أن يصلني رشاشه فأصاب بالزكام كما أصيب، وقد علمتني الـتجربة أنه قل من يأتي إلى الهنـد إلا ويصاب بالزكام وذلك

من فـرط الزحـام في الأمـاكن الـعامـة وكونهـم لا يسـتعـملـون المنـاديل الورقـية أو حتـى لا يهتمـون بستـر الوجه عـند السعـال أو العطـاس ولو كانوا يفعلون ذلك لما كان الزحام عنـدهم سبباً لانتشار الزكام، لأن هناك بلداناً أخرى فيها مثل ذلك الزحام ولا ينتشر فيها الزكام.

ولإصابة الغريب بـالزكام في الهند مماثل من إصـابة الحاج في وقت الحج بالزكام حيث زحام الحجـاج، ووفود الناس من أنحاء الأرض التي لا تخلو من الزكام.

وكان مقعدي عند النافذة فتطلعت إلى الريف الهندي الذي هو معمور كله أبحث عن الـقرى أو التجمعات القروية المنيـرة فيه فلم أر إلا أضواء خافتة، كأنها تـستحييي أن يراها الناس، ما عدا أماكـن يظهر أنها قرى كبيرة أو حتى بلداناً صغيرة، فهذه أضواؤها ظاهرة.

ثم صرنا نـرى ضواحي مدينة (جـيفور) ذات أضواء خافتـة، ثم رأينا المدينة من الطائرة ذات أنوار ساطعة، يميز الـطريق الرئيسية فيها التي تسمى الهاي واي باللون الأصفر.

وتـبدو مـن أنوارهـا أنهـا مـدينـة كبـيرة مـتسـعـة النـواحي، مـتعـددة الضواحي.

في مطار جيفور:

نزلت الطائـرة نزولا حاداً فضربت بعجـلتيها الخلفيـتين الأرض بقوة أحسـست بأثرهـا ألماً مؤقـتاً في ظهـري مع أننـي لا أشكو من شـيء في ظهري ولله الحمد. وكان ذلك بعد (٣٠) دقيقة من الطيران.

عندمـا وصلت مع الركـاب إلى قاعة الوصـول في مبنى المـطار وهي

صغيرة غير متسعة لم أكن أعرف فندقاً أنزل فيه فصرت أبحث عن مكتب للحجز في الفنادق في انتظار وصول الأمتعة فرأيت رجلا يبين من مظهره أنه متعلم فسألته عن الفندق فلم يجبني على ذلك وإنما سألني عن بلدي؟ فأخبرته، وسألته عن سيارة الأجرة، فقال: سوف أريك ذلك فيما بعد. هل تنتظر أمتعة؟ قلت : نعم.

ثم عاونني على حمل أمتعتي على عربة يد، وحملني بسيارته الخاصة إذْ أبى أن أركب سيارة أجرة، وقال لي: هذه سيارتي وأنا وحدي فيها فلم لا تركبها؟ وسوف أدلك على فندق يناسبك، وإن كنت لا أصل إليه مباشرة وإنما ستنزل بقربه وأستأجر لك عربة ركشا آلية.

فقلت في نفسي: هذا مناسب فهو مأمون، وسوف أدفع له الأجرة ويكون دليلي أيضاً إلى الفندق.

ولاية الرعاة وولاية الملوك :

كانت هذه أول بادرة طيبة واجهتني من ولاية راجستان التي عاصمتها (جيفور) وأنا أصلها لأول مرة.

وكنت أفكر وأنا في الطائرة في معنى كلمة (كجرات) وهو اسم الولاية التي غادرتها وكيف أن بعضهم ذكر لي أنه مأخوذ من اسم قوم من الرُحّل يقال لهم (كوجار).

وفي معنى كلمة راجستان وهي الولاية التي سأصلها وأنه بلاد الملوك، لأن راجا هو ملك أو أمير كما اشتهر ذلك عن أهلها و(ستان): بلاد كما في باكستان وأفغانستان وغيرهما فأقول في ذهني ما الفرق بين بلاد الرعاة وبلاد الملوك؟ ولو أردنا المقابلة اللفظية والمعنوية لقلنا: إنها

بلاد الصعلوك وبلاد الملوك. غير أن هذا لا يتفق مع الواقع فقد عرفت إخوتنا المسلمين من أهل كجرات الذين هاجروا إلى إفريقية وغيرها فرأيتهم رجال أعمال في المال قد غلبوا غيرهم من الناس على التجارة كما أنهم لم ينسوا آخرتهم فتجدهم يشيدون المساجد، وينشؤون المدارس الإسلامية ويساعدون غيرهم من المسلمين في الأعمال الخيرية النافعة.

وكان هذا حافزاً لي على رؤية كجرات موطن هؤلاء الإخوة المسلمين الناجحين في دينهم ودنياهم إلا أن معاملة هذا الهندوكي لي المعاملة الكريمة وما سمعته منه خلال المسافة ما بين المطار والمدينة جعلني أتساءل حقاً عن الفرق بين أهل (جيفور) هذه وغيرهم.

قال وهو يقطع الطريق بسيارته: إن ولايتنا هذه قد نكبت بالجفاف، منذ مدة طويلة فلا ماء، ولا زرع، وحتى الماشية قد مات أكثرها، والسبب في ذلك أنها بلاد تعتبر صحراوية ولا تبعد صحراء راجستان الحقيقية المشهورة إلا بحوالي ٥٠ كيلو متراً.

وقال: نحن نحفر الأرض طلباً للماء فلا نجده إلا بعد أن نحفر (٣٥٠) قدماً، وأحياناً لا يوجد على هذا العمق الكبير.

فسألته عن الكهرباء مادام الماء غير متوفر؟ فأجاب: إنه لا مشكلة في توفير الكهرباء لأنها تأتي إلينا من جهة الشمال الذي لا يعاني ما نعانيه من نقص في المياه.

فسألته عما إذا كان يوجد أمل في سقوط الأمطار في موسم هذا العام؟ فأجاب قائلا:

لقد ذهب معظم الموسم وتلفت المزروعات، ولو نزل المطر الآن فإنه لا

ينفع المحصول الزراعي ولكنه ينفع في توفير المياه لأغراض أخرى.

وتطرق إلى الحديث عن الطقس فقال: إن الجو حار في هذه الولاية ودرجة الحرارة هذا اليوم بلغت ٣٩ وهي تصل إذا اشتد الحر إلى (٤٥) درجة مئوية.

ثم قال متبرعًا دون أن أسأله: الناس هنا فقراء، ولا ينبغي أن تثق بسائق سيارة الأجرة، فتركب معه، إلا إذا كان هناك من يعرفه ممن تثق به.

في مدينة جيفور :

عندما وصلنا قرب فندقنا وقف معتذراً بأن لديه عملا يريد إنجازه وأنزل أمتعتي من سيارته فأخذت مائة روبية وأعطيتها إياه شاكراً له فرفض أخذها، وقال: أنا حملتك بسيارتي وليست سيارة أجرة فقلت له: إنني أشكرك أيضاً، لأنني سوف أدفع الأجرة لك أو لغيرك، وكنت علمت أن الأجرة من المطار إلى المدينة (٧٥) روبية وهو مبلغ له أهميته في الهند إلا أنه رفض أن يأخذ مني شيئاً، وأعطاني بطاقته الشخصية لأتصل به إذا ما شئت حسب قوله فإذا به مدير في شركة الكهرباء للولاية.

ثم أحضر لي عربة ركشا، وقال: هذه أجرتها إلى فندق (أشوكا) ثلاث روبيات فهو قريب جداً ثم ودعني وانصرف. فناديته وسألته عن اسمه، فقال: (B. K. ARORA) بي، كي، أرورا وعمله نائب مدير في شركة مهمة، فأوصلني سائق الركشا إلى فندق آخر مشابه لفندق (آشوكا) في الأصل وهو (آشاك هوتيل) ولا أدري أذلك من باب الغلط أم إنه أراد نفع هذا الفندق.

وقلت في نفسي: إنه سواد ليلة واحدة، وغداً أنظر في الأمر فأنزلني شاب من الإدارة في غرفة من الطابق الثاني وليس فيه مصعد فكان الحامل يجاهد في حمل حقيبتي.

وأحضروا لي مكيفاً صحراوياً دون ماء، جعلوه في النافذة، فصار كالمروحة الإضافية، لأن في الغرفة مروحة قوية خير مافيها ـ إلى جانب تحريك الهواء ـ أنها تطرد البعوض، أما رياش الفندق وفرشه فإنه دون الدرجة الثالثة، وإن كان الفندق كبيراً من حيث السعة وكثرة عدد الغرف.

طلبت ماء معدنياً للشرب، فذكروا أنه لا يوجد عندهم فطلبت ماء مغلياً وهذه عادة عندهم ألا يشرب من يخشى على صحته من المياه المعتادة حتى أهل البلاد. حذراً منه أن تكون ملوثة، وإنما يغلون الماء ثم يبردونه، ويوضع الماء المغلي في أوانٍ زجاجية أو زمزميات في غرف النزلاء في الفنادق.

أما هذا الفندق فإن خادمه ذهب يغلي الماء ثم أبطأ وجاء به حاراً فتركته تحت هواء المروحة فترة ثم عصرت عليه ليموناً وشربته.

يوم الثلاثاء: ١٥/١/١٤٠٨هـ ٧/٩/١٩٨٧م.

صباح جيفور :

لم أنم البارحة إلا متأخراً بسبب الحر وعدم الراحة في الفندق، ولأنني استمعت إلى الأخبار من عدد من الإذاعات العربية وهي تصل إلى هنا بوضوح. ولم أشعر اليوم إلا بخادم الفندق يطرق الباب بعنف ويوقظني من النوم في وقت مبكر. وإذا به يسألني: هل أريد شاياً؟ فقلت له: أما كان الأجدر بك أن تسكت حتى أطلب الشاي منك؟

فقال: بعض الناس يحبون أن يشربوا الشاي مبكرين، ثم جاء بالشاي أسود ثقيلاً مع أنه يزعم أنه خفيف، فعصرت عليه الليمون، وشربته على قرص من (الكليجا) كنت قد أحضرته معي من الرياض، ونظرت



من نافذة الفندق في جيفور

من شرفـة الفندق التي تـطل على شارع عام مـهم فرأيت الكنـاسات من النساء قـد بكرن إلى عملـهن. وهن يكنسـن الشارع بمكانس طـويلة من القش عـلى هيئة ذيـل الحصان، وهن يطـوحن بها يمـيناً ويساراً يـبعدن التراب الدقيق ونحـوه عن الشارع ولكنهن يضعنه عـلى جانبي الطريق ويـتركـنه، ورأيـت الريـح بـعد ذلـك تذروه فـتـعيـده إلى وسـط الشـارع. وبكرت أسراب الغربان بنعيبها الذي يؤذي الآذان.

ورأيت حلاقاً تحـت شجرة من أشجار الـشارع قد بكر بعـدته، وعلق مرآتـه في جـذع الشجـرة وصار يحـلق لـلمارة إلا أن حـماراً ضـالاً ظل يتشمم ما حوله، ولا أدري ما هو واجد فيه فينهره الحلاق ويطرده فيعود الحمار إليه.

ومن المنـاظر المؤلمة فـي هذا الصبـاح الباكر أنـني رأيت رجلاً يـسوق دراجة مـن دراجات الـركشـا وهي التـي لهـا ثلاث عـجلات واحـدة من الأمام واثـنتان في الخـلف فوقـهما مقـعد يتـسع لشـخصين أو ثلاثـة من صغـار الحجم ويـسيرها صـاحبهـا بقوة قـدميه فـليس فيـها محـرك وهو يؤجرهـا يتكسب بـذلك، وقد أحصيت فـي واحدة مرت في هذا الـصباح تسـعة أطفـال وهم ذاهـبون للـمدرسة يـحملـهم صـاحب الدراجـة، وهو يجاهـد في دفعهـا والمشكلـة إذا صادفه مكـان مرتفع نـوعاً ما فإنـه يجب عليـه أن يبذل جهداً إضـافياً وإلا لم تسر، وخـيل إليّ أنني رأيـت العرق يتصبب من جسمه في هذا الصباح الباكر.

كمـا مرت دراجـة ركشـاوية أخـرى مثلـها قـد ركب فـيهـا ثلاثـة من الكبار.

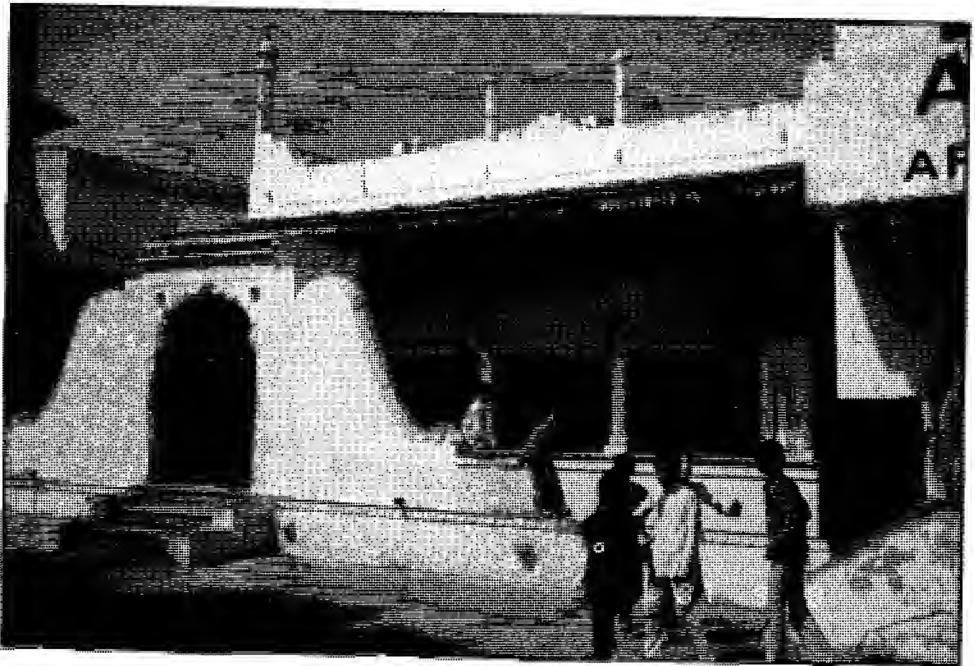
ولم أر مثل هذه الدراجات الركشاوية فـي أحمد آباد وإنما الشائع فيها

الدراجات الركشاوية التي تعمل بمحرك صغير، ويسمونها (موتور ركشا).

وكثر في الشارع العام مرور النساء النحيلات وهن أكثر نحافة ونحولا من أهل أحمد آباد، وكانت تسكن في الغرفة التي بجواري أسرة كبيرة العدد فرأيت الفتيات فيها نحيلات صفر الوجوه، وتبين أن هذا هو الطابع العام للنساء في هذه المدينة ما عدا نساء بعض الأغنياء.

إلى مسجد أجميري:

زارني مدير الفندق في غرفتي زيارة مجاملة فسألته عن أقرب مسجد من الفندق فقال لي وهو هندوكي إن (جميري مسجد) ليس بعيداً وتحتاج للوصول إليه إلى الركوب على (ركشا) لكنني فضلت الركوب على



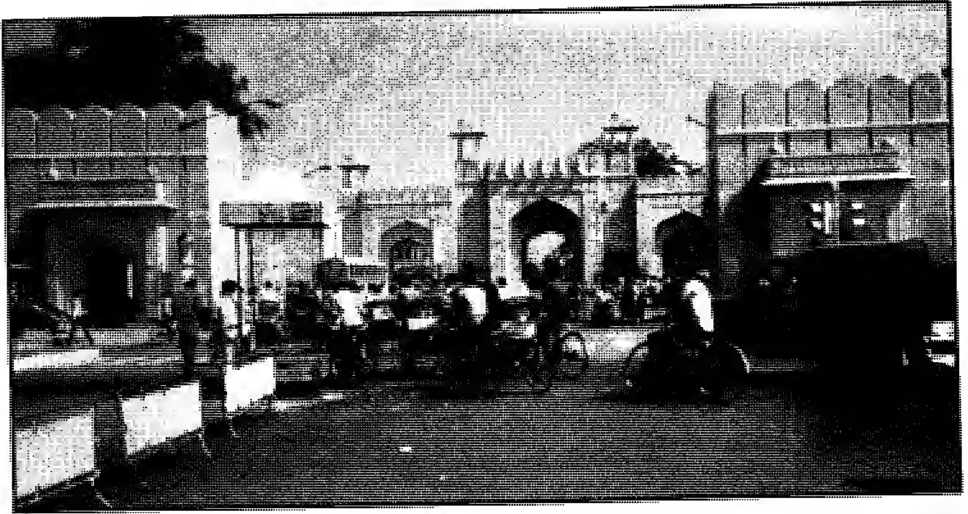
مسجد أجميري في جيفور

عربة المحرك الصغير التي يسمونها (موتور ركشا) وهي أغلى من الركشا المعتادة التي ليس فيها محرك. كما أن ركشا المحرك قليلة هنا بالنسبة إلى كثرتها في أحمد آباد وبالنسبة إلى كثرة الدراجات الركشاوية المعتادة.

وصلت المسجد ويقع مقابلاً لبوابة رمزية كبيرة يسميها «اجميري دروازةِ» أي: بوابة أجميري أو البوابة الأجميرية ومن هنا جاء اسمه (أجميري مسجد) واسمه القديم: مسجد هيزم فروشان.

وجدت في المسجد (مولانا) وهو الشيخ المتخرج من إحدى المدارس الإسلامية واسمه عبد السلام بن روشن علي فقال: بني المسجد قبل خمسين سنة.

وبجانبه مدرسة إسلامية مكتوب عليها اسمها (آرابك كولج) أي: الكلية العربية. سألتهم عمن يعرف العربية فأشاروا إلى رجل في الطابق الثاني وجدته يكتب تمائم وتعاويذ للنساء ولا يعرف العربية.



بوابة أجميري (أجميري دروازه) في جيفور

فرجعت إلى الشيخ مولانا عبد السلام لأنه يفهم كلمات من العربية يمزجها بكلمات قليلة من الأوردية التي أفهم منها كلمات قليلة أيضاً، فعرض عليّ الشاي والفطور، وقال لي: إذاً أحضر لك لبناً أو ماءً فشكرته وقلت له: مقصودي أن أرى من يعرف العربية من المشايخ في هذه البلاد حتى يدلني على الكليات والمدارس الإسلامية وعلى المؤسسات والشخصيات المسلمة في هذه المدينة فتراجع مع بعض الحاضرين وقالوا:

إلى مدرسة فيض التبليغ:

وذكروا أن المشايخ والمدرسين فيها حتى بعض الطلاب يعرفون العربية.

ثم نادوا عربة ركشا (رجلية) - إن صح التعبير - وهي التي تتحرك برجلي سائقها ووصفوا له مدرسة فيض التبليغ، وقالوا لي: إذا وصلت فاعطه أجرته ثلاث روبيات، وتعادل ثلاثة أرباع الريال السعودي.



دراجات الركشا في انتظار الراكبين

وجدت بغيتي في مدرسة (فيض التبليغ) في شخص (مولانا الشيخ عبد الواحد بن عبد الأحد) فهو رجل لبيب ذكي، ويعرف العربية جيداً كما يعرفها أبناؤها، وذكر أنه تعلم العربية هنا في جيفور ثم في دلهي ولم يتعلم في أي بلد عربي.

حدثني الشيخ عبد الواحد، وانضم إلينا غيره من المدرسين والطلاب الذين يعرفون العربية بأن هذه المدرسة أسست قبل ٢٠ سنة أسسها بعض المشايخ. وتضم الآن مائتي طالب كلهم ذكور ما عدا السنة الأولى التي طلابها من صغار السن ففيها يوجد بعض البنات.

وذكر أن المدرسة قائمة على التبرعات، ولكنهم لا يسألون أحداً من الناس شيئاً فإن جاءهم تبرع بدون سؤال أخذوه وإلا لم يطلبوا شيئاً، وقال: حتى المدرسون أحياناً تتأخر رواتبهم لعدم وجود تبرعات، ولكن يأتي الرزق بعد ذلك فيصرف لهم ما تأخر منها.

وذكر أن المبنى الذي فيه المدرسة هو موقوف عليها وهو مبنى جيد له فناء واسع، وفيه بئر يخرجون منها الماء للوضوء وغيره. ويقولون: إن ماؤها أنظف من ماء الحكومة الذي في الأنابيب.

إن يكن منكم عشرون صابرون :

تحدثت مع الأخ الشيخ عبد الواحد وغيره في شؤون شتى من شؤون هذه البلاد ومن ذلك عدد المسلمين في المدينة فأجابوا إنهم ٢٠٪، وقال الشيخ عبد الواحد معلقاً على ذلك تعليقاً بآية كريمة ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾.

ويذكر بهذه المناسبة أن الهندوكي الذي ركبت معه بسيارته البارحة

من المطار إلى المدينة قال حين سألته عن نسبة المسلمين إلى السكان: إنهم ١٢٪ إلا أنه لاتوجد بينهم اضطرابات طائفية كالتي تحدث في أحيان كثيرة في ولاية كجرات، وبخاصة في مدينة (أحمد آباد).

ولا شك أن الهنادكة يحاولون التقليل من عدد المسلمين إما لقصد أو لجهل أو لمجرد التمني.

أما قول الهندوكي: إنه لا توجد اضطرابات في مدينة (جيفور) هذه بين المسلمين والهندوك فإنه صحيح.. ولقد تأكدت منه بعد ذلك.

ثم قمت بجولة على فصول المدرسة فكان الدرس في السنة الأولى مثلاً سيرة النبي ﷺ، وكتاب: رياض الصالحين للنووي.. وهكذا.

أما المقررات المدرسية فإنها قديمة صعبة فالمدرسة تدرس العربية والفارسية ولذلك كانت بعض المقرارات بالفارسية. ومنها كتاب (ما لابد منه) في الفقه بالفارسية وفي النحو (نحو مير) للجامي وفي الصرف (صرف مير) تأليف مير سيد شريف جرجاني، وفي العربية: كنز الدقائق. وشرح الوقائع. ونور الأنوار، في أصول الفقه لملاجون الهندي الجيفوري. نسبة إلى هذه المدينة: جيفور.

ومن المقررات فيها: مقامات الحريري، وشرح التهذيب في المنطق.

وهذه كلها كما ترى مراجع صعبة الفهم، كبيرة الحجم، إلاّ أن إقبال القوم بشوق وتلهف على تعلم العلوم الإسلامية هوّن من صعوبتها، واختصر طولها.

مع أنك إذا رأيت الطلبة رأيتهم في وسائل تقصر عن وسائل الطلبة في المدارس الحديثة المعتادة، فمثلاً: هم يجلسون على الأرض، لا على

مقاعد دراسية، ولكنهم يضعون أمامهم موائد من الخشب مستطيلة مرتفعة عن الأرض بالقدر الذي يسمح بالكتابة عليها.

وعندما أردت التقاط صورة لأحد الفصول مانع المدرس وكذلك أكثر الطلاب لم يريدوا التصوير تحرجاً من الإثم الوارد في المصورين مع أن هذا ليس بالتصوير وإنما هو إمساك الظل.

وقال المدرس: إن هؤلاء الطلبة لو أرادوا التصوير لأرسلهم أهلهم إلى المدارس الإنكليزية - يريد التي تدرس باللغة الإنكليزية - ولم يرسلوهم إلى كلية إسلامية.

ولاحظت أن الطلبة على مستوى مناسب من حيث المظهر فوجوههم مشرقة، وملابسهم نظيفة.

وقد أروني مسجداً جديداً كبيراً يبنونه في جانب فناءالمدرسة بديلاً عن مسجد فيها قديم صغير.

جولة في مدينة جيفور:



أبنية جيدة تقليدية في أحد شوارع جيفور

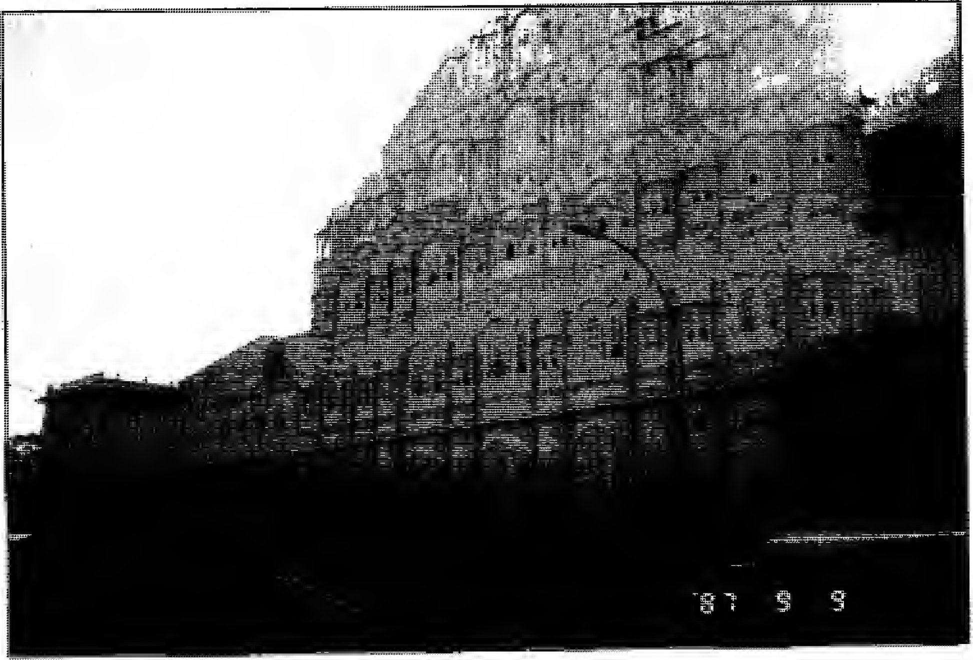
قال (مولانا) الشيخ عبد الواحد عبد الأحد: إنني مرتبط بموعد سابق اليوم ولذلك لاأستطيع أن أتجول معك، غير أنني سأرسل معك أحد تلامذتي وهو مثلي في معرفة العربية وليس لديه ما يشغله عن مصاحبتك.. إنه الأخ عبد الباسط المعروف بذاكر أي (عبد الباسط ذاكر).

وكان الأخ عبد الباسط معنا غير أنني لم أكن أعرف أنه بهذه المثابة من المعرفة بالعربية، وبالأمور العامة من أمور هذه المدينة رغم صغر سنه إذْ هو في الواحدة والعشرين.

وصحبني الأخ عبد الباسط فذكر لي أن والده هو العالم المشهور الشيخ (محمد يوسف الكاندهلوي) وهو مؤلف معروف من مؤلفاته: (حياة الصحابة) و(أماني الأحبار، شرح معاني الأخبار) للطحاوي ولكنني سوف أذكر نبذة قصيرة عن مدينة (جيفور) قبل الحديث عن الجولة فيها:

يبلغ سكان مدينة (جيفور) مليوناً وأربعمائة ألف نسمة ٢٠٪ أو ١٨٪ منهم من المسلمين وهي عاصمة ولاية (راجستان) التي معنى اسمها: بلاد الأمراء والملوك.

أسست (جيفور) قبل مائتين وخمسين سنة، وجميع الملوك الذين تولوا عليها هم من الكفار فهي لم تكن مملكة مسلمة كولاية كجرات المجاورة لها، مع ذلك كان ملوكها في وقت من الأوقات يقدمون فروض الطاعة والولاء لملوك المسلمين الكبار في الهند، وذلك في مقابل أن يبقوهم على حكمها، فمثلاً مؤسس مدينة (جيفور) هذه وهو المهراجا (جي سنغ) كان خاضعاً في حكمه للملك المسلم العالم (عالمقير) ويقال: إنه أسس هذه المدينة بأمر أو بإشارة من (عالمقير)أو بناء على موافقته.



قصر الهواء - هوا محل -

و(جي سنغ) هذا هو الذي نسبت إليه هذه المدينة فقيل (جي فور) وفور بنقط ثلاث في الأصل أو (بور) تعني محلة أو مدينة وهي كثيرة في سائر أنحاء الهند وباكستان، وقد كتبتها بالفاء فور لأنها أقرب إلى النطق بها من بور بالباء الموحدة.

ويبلغ عدد المساجد في (جيفور) في الوقت الحاضر (١٩٥) مسجداً كما ذكر لنا.

وتبعد (جيفور) عن حدود باكستان بخمسمائة كيلو متر. ولكن الحدود مغلقة من ناحيتها.

سوق رام كنجي :

ويسمونه (رام كنجي بازار) وهو سوق طويل في شارع واسع تحف

به الحوانيت من الجهتين وكلها باللون الأحمر، وأغلبها على طراز معماري جيد مستوحى من الفن الإسلامي حتى إن فيها معبداً هندوكياً على هيئة المسجد في طراز البناء.

وأغلب التجار في هذا السوق هم من الهنادكة وفيهم مسلمون ولكنهم قلة في العدد تعرفنا على بعضهم.

وقد عجبت من كون هذا الشارع كله على طراز واحد راقٍ فأخبروني أن الذي بناه هو الملك (جي سنغ) على الطراز الإسلامي، ولم يترك للناس أن يبنوا فيه كيفما شاؤا.

والحي نفسه يقال له: (رام كنجي) ومن المعروف أن (رام) هو كبير آلهة الهندوك في شمال الهند وأما كنجي فإنني لم أعرف معناها.

ومررنا بمعابد هندوكية متقاربة في هذا الحي بنيت على الطراز الإسلامي فقال الأخ (عبد الباسط ذاكر) إن أهل البلاد وملوكها هم من الهنادك ولكنهم كانوا تحت سلطة المسلمين العامة لذلك بنوها على الطراز الإسلامي الذي كان أفخر أنواع البناء المعروفة في ذلك العصر.
وقد تمشينا على الأقدام في هذا السوق وما حوله فرأيت أشياء لافتة للنظر منها أن مدينة (جيفور) القديمة جميلة البناء، واسعة الشوارع، حمراء الطلاء وقال الأخ عبد الباسط وهو من أهل المدينة: إن مدينتنا هي أجمل مدينة في الهند، وإن أحمد آباد كانت تسبقها فيما مضى أما الآن فإن (جيفور) أجملها.

وأنا أرى أن (جيفور)وبخاصة الأقسام القديمة منها هي جميلة حقاً لكنها ليست أجمل بلاد الهند فأين سرنقر عاصمة كشمير؟ بل أين (بنقلور) عاصمة ولاية (كرنا تك).

وإذا أراد القارىء الكريم أن يعرف شيئاً عما كتبته عن تينك المدينتين: سرنقر وبنقلور فإنه يمكنه أن يقرأ كتاب: «سياحة في كشمير» وكتاب: «في جنوب الهند» من الرحلات الهندية.

ورأيت بعض الأخوات المسلمات يمشين في الأسواق وهن متسترات إلا الوجه والكفين عند بعضهن وبعضهن يضعن لثاماً على أسفل الوجه. وبعضهن يتحجبن حجاباً كاملاً لا يرى معه من وجوههن شيء، وذلك في جو كافر غامر، فالهندوكيات لا يعرفن الحجاب أصلاً، بل إن معظمهن يتركن كالحزام من ظهورهن وبطونهن عارياً ودائراً مع الجسد حيث دار.

والمجاري هنا تجري مكشوفة في أسافل الحيطان على جانبي الشارع تختلط بمياه الأمطار إذا نزلت فتساعد على إبعادها، أما إذا قَلّ المطر كما هو عليه الحال الآن فإن بعض هذه المجاري تصبح ذات رائحة كريهة ومنظر أشد بشاعة. غير أنهم قد بنوا القنوات التي تجري فيها بأسمنت أملس قوي وتعهدوا بإزالة ما قد يسبب ركودها من فضلات أو من أشياء صلبة قد تلقى فيها.

ومررنا بباعة للخضروات والفاكهة فسألتهم عن لحم البقر هنا أيباع علناً؟ فأجابوا: لا، إن بيع لحم البقر هنا ممنوع، أما لحم الغنم فإنه موجود ويباع بكثرة.

وهذه الولاية (راجستان) من بين الولايات الهندية التي تحرم بيع لحوم البقر على حين أن هناك ولايات أخرى تجيز ذبح البقر وبيع لحمه علناً مثل ولاية غرب البنغال وولاية كيرالا الجنوبية.

ومن الخضروات والبقول التي رأيتهم يبيعونها هنا اللوبيا بثلاث

روبيات للكيلو. ونوع من الباذنجان الأسود، ولكنه ذو لون أرجواني ويباع بالعدد. ويقطين وهو الذي يسمى عندنا (قرع نجد).

سوق التنبول :

وفي جزء من هذا السوق صف طويل من الباعة لا يخالطهم غيرهم وكلهم يبيع التنبول ذلك الورق الأخضر الذي يشبه ورق الأترج وهو أكبر من ورق البرتقال يضعون بداخله أشياء منها جير وفوفل وشيء من التبغ وملح ويمضغونه ثم يبصقون الريق الذي يتجمع من مضغه وهو من الأشياء التي ابتليت بها الهند منذ قديم الزمان.



باعة التنبول في شارع رام كنجي

وبعض المسلمين يمضغونه كسائر الناس، وطالما رأيت إخوة من المسلمين يفعلون ذلك فسألتهم عن منفعته فذكروا لي أنه مفرح للقلب،

وأنه يفيد اللثة والأسنان إلا أن عدداً من أولئك الذين مدحوه بتقوية الأسنان، ليست لهم أسنان سليمة، كما تبدو من أفواههم وقد التقطت صورة لباعة التنبول هؤلاء، فقال أحدهم: أحسنت يظهر سروره بذلك.

ورأيت في هذا السوق نوعاً كبيراً جيداً من الليمون الصغير (البنزهير) يبيعون الكيلو منه بـ ٩ روبيات.

وهذا السوق مزدحم يرى المرء فيه الأخوات المسلمات بكثرة في لباسهن الساتر المميز.

سوق الزهور :

والأمر الذي عجبت له أن ترى في أكثر المدن الهندية أسواقاً للزهور أو أماكن كبيرة ليس فيها ما يعرض أو يباع إلا الزهور.



باعة الزهور في جيفور

ويكاد يتبادر إلى ذهنك أن الأولى بالقوم أن يعملوا على إزالة الأشياء المنافية للجمال في حياتهم مثل البصق في الشوارع والأرصفة، والسعال والعطاس بدون مناديل، ومثل تنظيف الأنف بالأصابع، وإبقاء مياه المجاري العفنة ظاهرة للعيان في أصول الحيطان حتى في الشوارع الرئيسية وأسواق البيع والشراء.

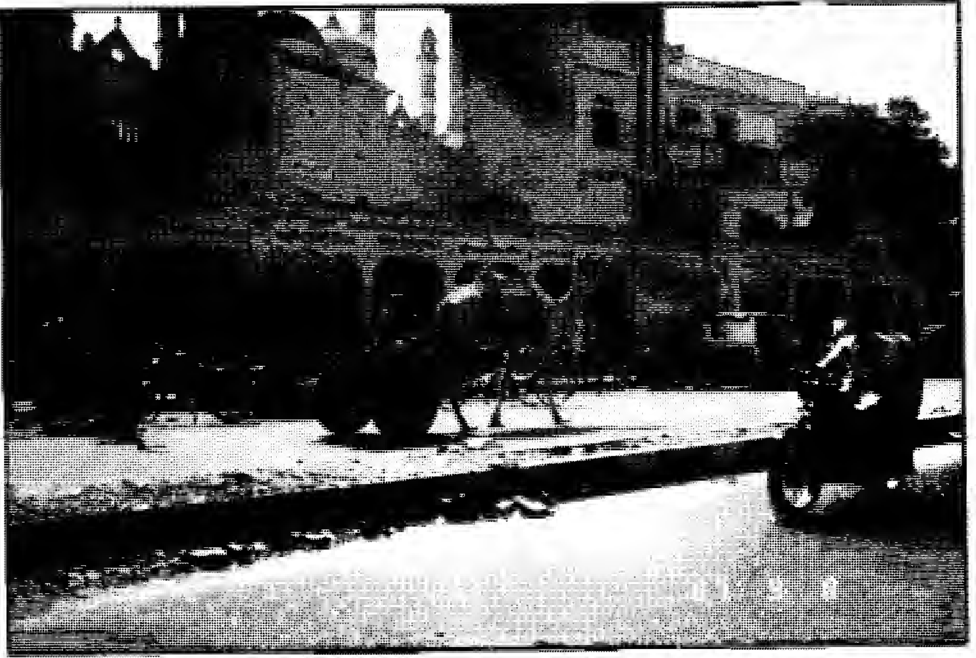
ثم أخثاء البقر وهو فضلاتها وكذلك أرواث الدواب الأخرى التي يتجمع عليها الذباب في الشوارع، فضلاً عن مكافحة الذباب نفسه، سواء بإزالة الأسباب التي تجعله يتكاثر من الأقذار والأوساخ، أو عن طريق مكافحة تكاثرها بصورة مباشرة. ثم الحفاء السائد في طبقات كثيرة من الفقراء.

على أن محبة الزهور تبدو أكثر عن طريق عرضها وبيعها في مدن دون مدن أخرى إلا أن جميع المدن الهندية - تقريباً - تكون فيها أسواق لبيع الزهور.

وظني أن لذلك علاقة بالديانة الهندية القديمة وليس لمجرد كون الزهور جميلة، كما هو عليه الحال في أكثر البلدان الأوروبية.

وأكثر الزهور التي رأيتها في هذا السوق اليوم هي أرجوانية اللون.

وقد كثرت الإبل التي تجر العربات فهي هنا أكثر منها في (أحمد آباد)، وربما كانت لذلك علاقة بقرب هذه المدينة من الصحراء التي هي موطن الإبل في العالم القديم. فصحراء راجستان الحقيقية لا تبعد عن هذه المدينة أكثر من (٥٠) كيلو متراً.



الجمل يجر العربة تقابله دراجة نارية في أحد شوارع جيفور

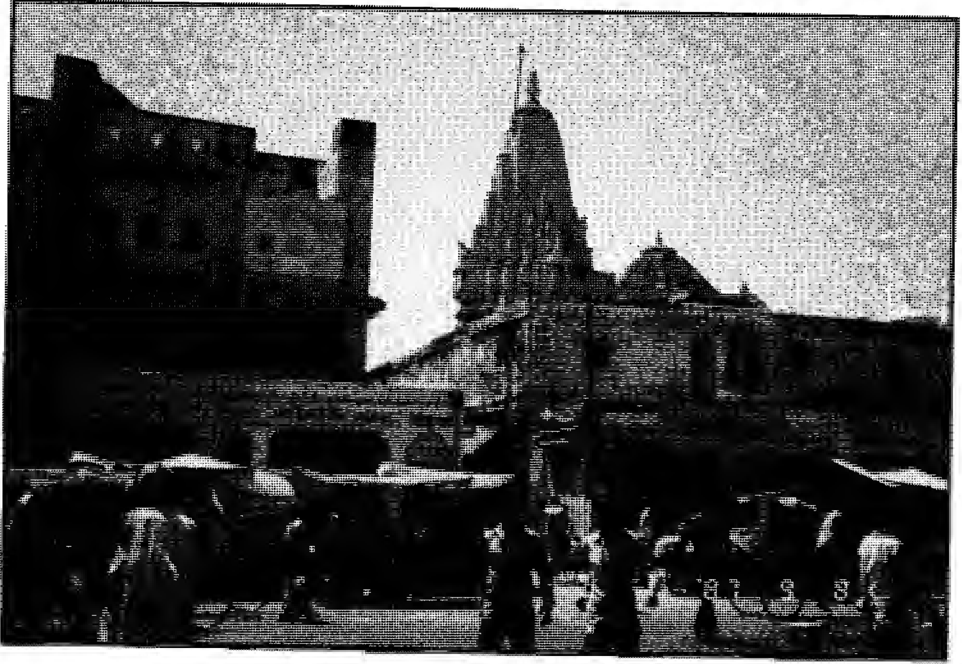
في معبد هندوكي :

يصعب الدخول إلى المعابد الهندوكية الكبيرة لغير الهنادكة، لأن المتعصبين منهم يزعمون أن غير الهنادكة ينجسون تلك المعابد، وبعضهم يقول: إن آلهتهم تهرب من المعبد إذا دخل شخص غير هندوكي لأنه نجس بزعمهم.

ولكن يحدث أحيانًا أن يسمح بدخول المعابد الصغيرة ، والمرء حتى إذا لم يدخل المعبد فإنه قد يرى ما بداخله، ولو من البعد.

ومن المعابد الصغيرة التي قال لي الأخ عبد الباسط: إنه يمكن دخولها معبد في (رام كنج بازار) صعدنا إليه بدرج لأنه مرفوع عن الأرض فدخلنا عدة أفنية مكشوفة ليس فيها شيء ثم رأينا المعبد المسقوف أشبه

بالغرفة الصغيرة وهو مغلق قالوا: إنه لا يفتح إلا بعد العصر. وذكروا أن في المعبد تمثالاً لجنية مجنحة راكبة على حية. وذكر لنا أحد الموجودين في الفناء، وقد رأيناه يستريح فيه: إنهم يعتقدون أن الذي مُثِّل في التمثال يطير. هكذا قالوا، ولم أجد في المعبد، ولا حوله شخصاً يصح الركون إلى كلامه.



معبد من معابد الهنادكة ببرجه المرتفع خلف المنازل في وسط جيفور

مشهد بجانب المعبد :

بجانب هذا المعبد الهندوكي الذي يعبد الكفار فيه التماثيل التي مثلوها لآلهتهم ومعبوداتهم مع ما يدل عليه ذلك من عدم تحكم العقل، بل من منافاة العقل في أكثر هذه الأمور رأينا مشهداً مرفوعاً عليه قبة خضراء صغيرة ومنارة صغيرة بيضاء، وعنده سادن دعانا إلى الدخول إلى

القبر، والتبرع له، وقال: الدعاء عنده يستجاب، وقال:صاحب القبر رجل صالح جاء من مكة. وأردنا أن نستوضح منه المزيد من أمره، ولكنه كان يريد منا أن نتعبد عنده. ولذلك لم يزدنا من المعلومات، بل رأيته لم يرض عن ذلك.

وقال الأخ (عبد الباسط ذاكر): هذا مبتدع، وهو وأمثاله يعادوننا، بل يحاربوننا، ثم أسرع يريد الإنصراف، وكأنما هو خائف من أذى يلحقه من ذلك الرجل ولكنني وقفت قليلاً استجلي المنطقة،والتقط لها صوراً وبخاصة ذلك الجدار الهائل المبني بجانب قصر السلطان ويسمونه (هوا محل) وسوف يأتي ذكره عندما نزوره فيما بعد، وتجلت طبيعة التلال التي تحيط بجزء من المدينة وهي جرداء خالية من النبات كأنها الجبال الصحراوية تماماً.

وكذلك التقطت صوراً للشوارع المحيطة بالمنطقة، منها هذه الصورة.



الميدان والشارع الكبير في جيفور

قانيش أو الفيل الإنسان :

نزلنا من المعبد الهندوكي المغلق، وسرنا نتمشى في السوق فرأينا محراباً صغيراً فيه تمثال بقرة، وفيه تمثال (قانيش) وهو أحد آلهتهم جسمه جسم رجل ورأسه رأس فيل.

وهما في السوق المزدحم، ورأيت قلة من الناس إذا مروا بهما جمع الواحد منهم كفيه وضمهما أحدهما إلى الآخر ثم جعلهما بحذاء وجهه، وانحنى قليلاً إلى الأرض يحيون هذين المعبودين عندهم، يتعبدون بذلك. مع أن أكثر الناس لا يبالون بهما، ولا يلتفتون إليهما.

وقصة (قانيش) هذا تستحق الذكر من أجل كونها شاهداً على أن الديانة الهندوكية التي تصدق بمثل هذه القصة هي ديانة خرافية موغلة في الوثنية.



هندوكي متعبد (سادهو) في جيفور

وخلاصتها فيما قيل لنا: أن (رام) كبير آلهة الهندوكيين في وسط الهند وشمالها غضب من (قانيش) الذي هو فيما يقولون من صغار الأرباب، فقلع رأسه، وتركه بدون رأس، وكانت أمه أيضاً ربة قاسية فذهبت إلى رام وتوعدته بأنه إذا بقي ابنها (قانيش) بدون رأس فإنها ستفعل برام كذا وكذا تتوعده بذلك. قالوا: فخاف منها، وأسرع يبحث عن رأس قانيش ليعيدها إلى جسده، ولكنه لم يجدها، وإنما وجد رأس فيل، فأخذه ووضعه على جسم قانيش بدلاً من رأسه الأصلي، قالوا: فمن يومئذ صار لقانيش جسد إنسان ورأس فيل، وهكذا يصورونه في معابدهم، وينحتون تماثيله التي يعبدونها.

وبعضهم يروي قصة قانيش على وجوه ثلاثة:

الأول: أن جانيش ابن شيو وباربتي أمرته أمه باربتي بالنظر إلى الشمس، فنظر إليها فاحترق. وهنا اغتمت باربتي فأشار عليها أحد بأن تخرج وتبحث عن رأس مخلوق فخرجت ووجدت رأس الفيل، فوضعته على رأس ابنها فصار حياً في شكل الفيل.

الثاني: أمرت باربتي ابنها بالجلوس عند الباب حتى لا يدخل فيه أحد، وهنا جاء شيو فمنعه قانيش فقتله شيو ثم ندم وخرج فوجد رأس الفيل ..إلخ.

الثالث: غضبت باربتي على ابنها فقتلته ثم ندمت على صنيعها ووجدت رأس الفيل ..إلخ.

أما وظيفة قانيش فهي أنه يحرس الناس كما يزعمون من المصائب والبلايا، ولذا يعلقون صورته في السيارات والمراكب الأخرى على أنه رمز الحراسة.



المسجد الجامع
(جامع مسجد) في أيمن الصورة على شارع جوهري بازار في جيفور

الجامع الجوهري :

وصلنا إلى سوق طويل عامر بالحوانيت اسمه (جوهري بازار) أي: سوق الجواهر. فكلمة الجوهر والجواهر من العربية التي دخلت في الأوردية ومن ذلك اسم (جواهر لال نهرو) رئيس وزراء الهند السابق ومعناه: الجوهرة الحمراء لأن (لال) في الأوردية: تعني حمراء، وكلمة (بازار) هنا تعني سوق البيع والشراء، وفيه الجامع الجوهري.

يدخل إلى الجامع من الشارع على درج من الرخام البني اللون. وقد أعجبني بناء المسجد مع أنه قد بني بأموال عامة المسلمين من أهل الخير وليس بوساطة الملوك أو من يتعلق بهم لأن هذه المدينة ـ كما قدمت ـ لم يحكمها المسلمون حكماً مباشراً، وإنما كان لها حكامها من الكفار الذين

كانوا في كثير من الأحيان خاضعين لملوك المسلمين الكبار.

وقد بني المسجد على هذه الكيفية قبل ٥٥ سنة، وكان قبل ذلك صغير المساحة، من حيث البناء، ورأيتهم يعملون في المسجد في الوقت الحاضر يبنون له ملحقاً يوسعونه به لأنه ضاق بالمصلين. وقد أصبح الآن أربع طبقات بعضها فوق بعض على طريقة المساجد في الأسواق المزدحمة في الهند. ومن حسن الحظ أنه ليس فيه قبور ولم يدفن فيه أحد.

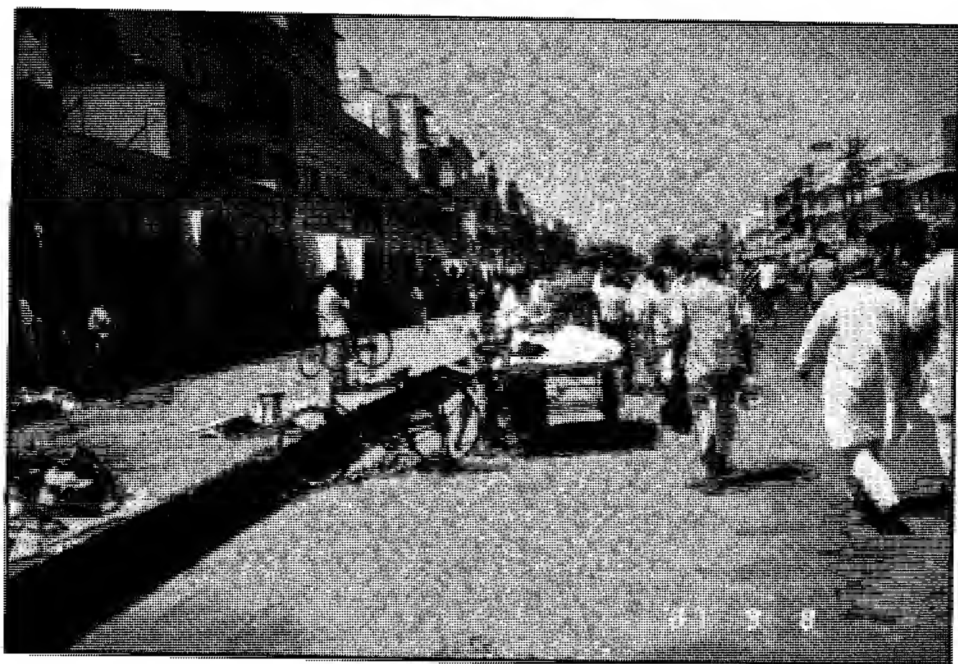


القرد داخل (جامع مسجد) في جيفور

ومن المناظر الغريبة أننا رأينا في داخله قرداً أحمر اللون، دخل إلى المسجد، وكان العمال يعملون فيه، ولم يجد من ينهره أو يخرجه، وسألت المرافق الأخ عبد الباسط ذاكر عما إذا كان يمكننا إخراجه من المسجد حذراً من أن يقذر فيه فأجاب: إن ذلك صعب، لأنه يؤذي من يتعرض له.

وهذه عادة هندوكية قديمة في عدم التعرض لكثير من الحيوانات، بل من الأحياء حتى الضار منها كالحيات.

وصورت القرد مع تحذير الأخ المرافق من الاقتراب منه.



جوهري بازار (شارع الجوهر) في جيفور

كما التقطت هذه الصور لسوق الجواهر أو (جوهري بازار) من الطبقة العليا في المسجد، ورأيت هذا الجزء القديم الفاخر من المدينة أحمر اللون فعرفت لم سميت بالمدينة الحمراء.

قطار الإبل في السوق :

في سوق الجواهر رأيت قطاراً من الإبل أي: جماعة منها يتبع بعضها بعضاً، وكل بعير منها يجر عربة عليها الجمّال أي: صاحب العربة، وهو واقف بخلاف العربات التي تجرها الثيران والحمير، فإنني لم أر أهلها يقفون عليها والدابة تسير.

ونظرت إلى هذه الإبل وهي تسير في أسواق البيع والشراء وكيف استسلمت لقدرها فذكرت إبلنا العربية وسيرها في الدهناء والصمان

من مجاهل الجزيرة، وقلت: سبحان مصرف الأحوال.

على أن الذي تنبغي الإشارة إليه هنا أن هذه الإبل هي إبل هندية أصيلة من التي عاشت وعاش أسلافها قبلها قروناً في صحراء راجستان الهندية، وليست مستوردة من بلداننا العربية.

ويتراءى للفرد منا أن البعير منها فيه فرق قليل عن البعير العربي من حيث المظهر كالفرق بين الإنسان العربي والإنسان الهندي، وهما متقاربان في الطول وفي اللون، ولكن بينهما في الخلقة فروق كثيرة دقيقة، لا يفطن لأكثرها إلا ذو حس رقيق وملاحظة دقيقة. ويخيل إليّ أن هذه الإبل الهندية أقل رشاقة من إبلنا، وبالتالي أقل جمالاً.



شارع تربوليا (تربوليا بازار)

والاختلاف في الرشاقة والطول في الإبل أمر ظاهر ومعروف

لاحظته في الإبل التي تعيش في صحارى متباعدة كالتي تعيش في الصحراء الكبرى الإفريقية فهي تكاد تكون أكثر رشاقة من الإبل العربية، ماعدا النوق العمانية المشهورة.

ولكن تلك الإبل الإفريقية الصحراوية أقل رشاقة وجمالاً وارتفاعاً عن الأرض من الإبل التي تعيش في صحراء إفريقية أخرى، ولكنها أصغر من الصحراء الكبرى المشهورة وهو صحراء (كالاهاري) الواقعة في جنوب غرب إفريقية (ناميبيا)، ويقع جزء منها في غرب دولة بتسوانا الإفريقية. ورأيت الإبل التي تعيش فيها في حدائق الحيوان هناك وفي المتاحف التي يعرض فيها الحيوان محنطاً في جنوب إفريقية.

ويظهر أن الإبل التي تعيش في الصحراء القاحلة أكثر رشاقة من الإبل التي تعيش في صحراء أكثر خصباً.

حتى إن البعير ذا السنامين الذي يعيش في صحارى الصين وتركستان الشرقية وبلاد المغول هو أبعد ما يكون عن الرشاقة، وقد ذكرت أحوال البعير ذي السنامين في كتاب: «داخل أسوار الصين» وكتاب: «في مهد الترك».

مشكلة الغداء :

حان وقت الغداء ولا أدري أين أتناوله فأنا من الذين يصعب عليهم استساغة الطعام الهندي، بسبب الإكثار فيه من الدسم الثقيل والفلفل الحار وغيره من أنواع البهار وفي هذه المدينة بالذات لاحظت كثرة الذباب، فصرت أشك في أنها تكون قد وقعت على الطعام.



شارع تربوليا وسط مدينة جيفور

وكان أحد الإخوة من المسلمين قد رآني أتحدث مع الأخ المرافق فسلم عليّ ثم سار معي قليلاً وهو يتقن الإنكليزية ويقول: إنه يعرف الفرنسية والإيطالية أيضاً. وهو مثقف فسألته عما إذا كان يوجد مطعم للمسلمين نظيف، فقال: مطاعم المسلمين ليست على ما يرام من النظافة، ولا يوجد مطعم نظيف إلا مطعم نظيف للهنادك وهو تابع لفندق كبير.

فقلت له: إنني لا أريد العدول عن مطاعم المسلمين إلى ذلك المطعم الهندوكي، فقال: إذاً تتفضل عندي في بيتي وسأصنع لك طعاماً نظيفاً، فشكرته وتركته.

وقال الأخ عبد الباسط: ينبغي أن تتغدى معنا في المدرسة مما تيسر وهم في المدرسة يصنعون طعاماً للطلاب والمدرسين، ولم أجد وسيلة إلا الموافقة، واشتريت ليموناً جيداً قلت في نفسي: أعصره على الماء

والطعام أكافح به وسواس التلوث.

وقلت في نفسي أيضاً: سوف آكل عندهم وأدفع بعد ذلك تبرعاً للمدرسة.

ووجدناهم قد تغدى بعضهم، ثم جاؤا بالغداء معه الماء من البئر ذكروا أنها بعيدة من تأثير المجاري لأنها في داخل المدرسة بعيدة عن الشارع والمجاري في الشارع مكشوفة وتذهب بعيداً فلا تتسرب إلى مستوى قاع البئر.

ثم جاؤا بالطعام الذي حلت فيه البركة وهو قليل من الأرز والخبز والعدس والمرق كما جاؤا باللبن الذي كانوا وضعوا فيه سكراً، فأكلت من ذلك كله عدا اللبن وأكل معي أحد الأساتذة والأخ عبد الباسط، وكان طعاماً هنيئاً تعمدوا أن يبعدوا عنه الفلفل الحار من أجلي.

ثم عدت مع ركشا آدمية إلى الفندق وهو فندق (آشاك هوتيل) وليس (أشوكا هوتيل) الذي كنت قصدته في الأصل كما تقدم.

وكان وقت مغادرة الفندق قد فات، فلبثت فيه هذا اليوم أيضاً على أمل ألا أن أعود إليه إلا في الليل وأن أقضي النهار خارجه.

مدرسة فيض التبليغ ثانية :

في الرابعة عصراً عدت إلى مدرسة (فيض التبليغ) فلم أجد الشيخ عبد الواحد عبد الأحد ولا الأخ عبد الباسط ذاكر وقالوا: إن عبد الباسط ذهب يبحث عنك، وبقيت في المدرسة انتقل من مكان إلى آخر من دون أن أجد من يفهمني، وتسارع الطلبة الذين كانوا يتركون فصولهم الدراسية ويجلسون عندي ليسمعوا كيف أتكلم بعربية لا يفهمونها، أو

لمجرد رؤية شخص عربي غريب فيظلون يحملقون فيّ ويزنون حركاتي وسكناتي.

وكنت خرجت أتمشى قبل ذلك فيما حول المدرسة أقطع الوقت، فصدمتني الروائح الكريهة المنبعثة من قنوات المجاري المكشوفة على جانبي الشارع، وأفواج الذبان الملحة، وبعضها يبقى واقعاً على الأرض يفر من بين قدمي الماشي.

ثم عدت إلى المدرسة وتسليت بالاستماع إلى قراءة بعض التلاميذ الذين كانت تلاوتهم جيدة مضبوطة فأساتذتهم يحرصون على أن يعلموهم قراءة القرآن بنطق صحيح.

هذا والطلاب أكثرهم يلبس ملابس نظيفة، وملابسهم قميص طويل يضرب إلى الركبتين أو يزيد عنهما قليلاً تحته سروال يصل إلى الكعبين، ولا بد من طاقية على الرأس، وطواقيهم متعددة الألوان. متحدة الأشكال، ويرون أنه ليس من المناسب لطالب العلم أن يراه الناس مكشوف الرأس. فضلاً عن أن يمشي في الشارع وهو كذلك.

وسألت عدداً من المدرسين أثناء عطلة بين درسين عن جيرانهم في المدرسة، أهم من المسلمين أم من الكفار؟

فأجابوا: أنهم من الكفار، ولكنهم لا يؤذوننا ولا نؤذيهم، وليست هناك اضطرابات بين الهنادكة والمسلمين في هذه المدينة.

والحقيقة أن معاملة الهنادكة للغريب جيدة. فهم لا يحاولون استغلاله أو استغفاله ثم إذا عرفوا أني عربي مسلم، فإنهم لا يظهرون أية علامة من علامات عدم الود أو الترحيب.

وبوجه عام فإن الأخلاق العامة في الهند وبخاصة لدى الأكثرية من المواطنين وهم الهنادكة تعتبر راقية، لا سيما حين يراهم المرء متخلفين في الحياة المادية، فقراء بل بعضهم من المعدمين.

استئناف الجولة:

صلينا العصر في المدرسة متأخرين كعادة القوم في الهند، ثم خرجنا للجولة فلفت الأخ عبد الباسط نظري إلى مسجدين متقاربين على الشارع المهم (رام كنجي بازار).

وقال الأخ عبد الباسط بهذه المناسبة إن المساجد في جيفور تبلغ مائتي مسجد.

سرنا على الأرصفة الواسعة من شارع مدينة جيفور القديمة التي كانت فاخرة، وهي مبلطة بحجارة كبيرة، إلا أنها مهملة الآن.

ثم دخلنا في (فيضان) الدراجات في الشارع، من دراجات معتادة إلى دراجات الركشا، وعربات الركشا ذات المحرك التي تنفث الدخان المؤذي، وتحدث أصواتاً منكرة إلى حافلات الركاب الضخمة التي تنشر الدخان الكثيف، وامتزج هذا كله بزحام الآدميين.

سبحان الذي سخر لنا هذا :

ركبنا دراجة ركشية اختار الأخ عبد الباسط الركوب فيها على الركوب في الركشا النارية وقال: هذه أحسن للغريب لأنها لا تسرع فيرى الناس ويتفرج برؤيتهم وهو راكب، فقلت له: ولكن يصعب عليّ أن أركب ومعي رفيقي على عربة يسيرها شخص برجليه فيتعب وأنا مستريح مقابل أجر زهيد.

فقال عبد الباسط: نقول: سبحان الذي سخر لنا هذا.

وبالفعل عندما درجت الدراجة قال وهو ينظر إلى صاحب الدراجة أمامنا وهو لا يكاد يقوى على تحريكها: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ● وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾.

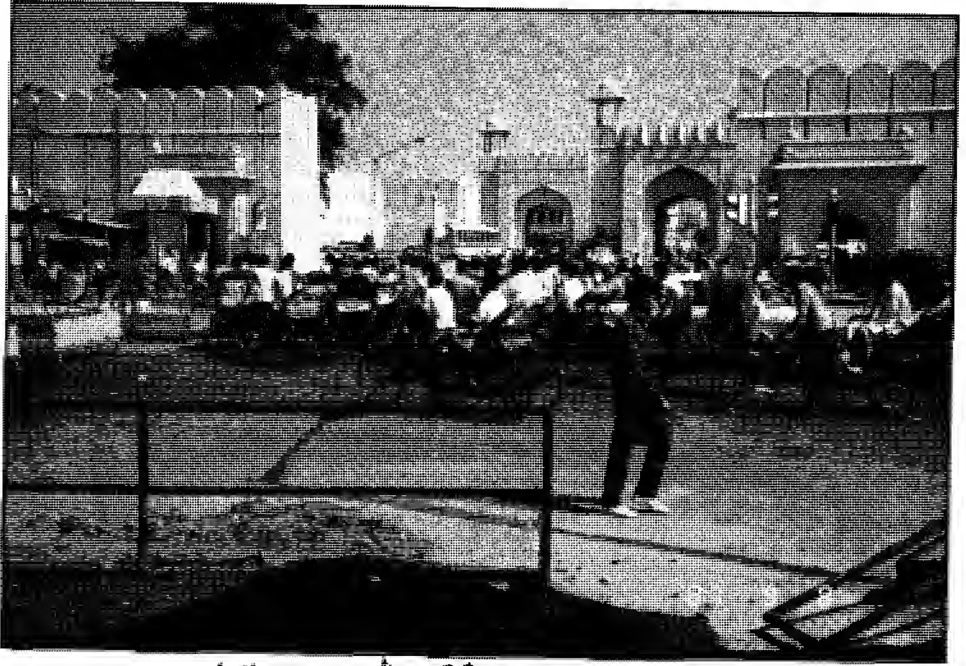
والمعروف أن هذه الآية تُقال في الأصل عند ركوب الدواب والمركبات الأخرى، وما مثل قول عبد الباسط إلا كمثل رجل ركب على ظهر رجل آخر، وقال والرجل يسير به: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾! وسارت الدراجة الركشاوية واستمتعت بالتفرج على الشوارع وما فيها من الحيوان والأناسي وأنا راكب في هذه الدراجة كأنما أنا جالس.

وزاد عجبي بل إعجابي بطراز أبنية المدينة القديمة الجميلة ذات الأطرزة القريبة من الطراز الإسلامي بل هي مبنية على ذلك الطراز ولكنه مطعم بشيء من الطراز المحلي الهندي، وبالمحافظة على اللون الأحمر في طلاء المنازل وهو الذي صار يميز هذه المدينة حتى سميت بسبب ذلك (المدينة الحمراء).

البوابة الأجميرية :

ريما تذكر أنه مرّ بنا الحديث مروراً عابراً على (أجميري دروازه) عندما تحدثت عن المسجد الأجميري الذي يقع بجانبها ومررت به في أول هذا الصباح.

وقد دخلنا الآن مع هذه البوابة فأوقفت الدراجة الركشاوية، وصورت البوابة وزحام الدراجات والأناسي فيها رغم كونها ذات مداخل ثلاثة، وكون المرور لا يقتصر على مداخلها، وإنما يمر من يمينها ويسارها. لأنها ليست متصلة بسور أو حائط.



زحام الدراجات الركشاوية قرب (أجميري دروازه)

وهذه البوابة منسوبة إلى (أجمير) وهـي بلدة تبعد عن مدينة (جيفور) هذه ثـمانـين كيلـو متـراً سميـت باسـمهـا لأنها يـخرج مـنها إلـى مديـنة (أجمير) المذكورة.

وباني هذه البوابة هو المهراجا (جي سنغ) مؤسس المدينة .

حديقة رام نيواس :

وهي حديقة واسعة فيها قصر أشبـه ما يكون بالمتحف أسسه المهراجا أي: الملـك أو الأميـر (رام سنـغ) أحد مـلوك (جـيفـور) وما يـتبـعهـا من راجستان.

وبنـى القـصر عـلى طـراز هنـدي أراده أن يكـون خالـصاً عـلى ذلـك الطراز، ولكنه لم يستطع. لأن تأثيـر البناء الهندسي الإسلامي يبدو في بعض لمحات المبنى.

ثم تعهد ملوك راجستان هذا المتحف بزيادة محتوياته وتنميته.

في مدخل القصر رسموا صوراً كبيرة لملوك راجستان ومنهم راجا - أي: الملك - جي سنغ مؤسس مدينة جيفور، وذكروا تاريخ ولادته ووفاته ١٦٢٢م - ١٦٦٧م.



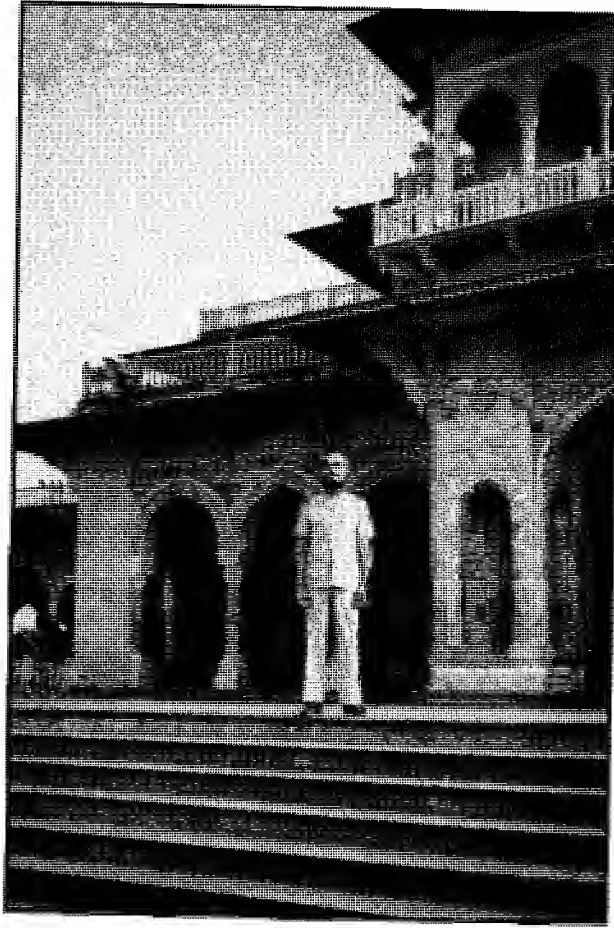
المؤلف في حديقة رام نيواس
مع الأخ عبد الباسط ذاكر في جيفور

ومنهم راجا (مان سنغ) كان معاصراً للسلطان المغولي الكبير (أكبر خان) المختلف في ديانته، بل هو الذي ينسب إليه أنه أمر بتأليف دين من سائر الأديان المعروفة في وقته وأسماه (دين إلهي) أي: الدين الإلهي وتزوج من أهل كل دين بزوجة، وقد ذكرت شيئاً من أمره وآثاره في كتاب: (شمال الهند) عندما تكلمت على مدينة أقرآ هناك. وقد تزوج السلطان أكبر هذا بأخت الراجا (مان سنغ) مع أنهم هنادكة وهو مسلم، بل إن جميع ملوك راجستان الموضوعة صورهم هنا هم من الهنادكة.

وعددهم ١٣ وأكثرهم عليهم ملابس فضفاضة بعضها يشبه ملابس النساء عندنا في القديم.

وفيه لوحات من بلدان متعددة منها واحدة لآلهة الفراعنة كتبوا عليها بالأوردية: «معبود ملك مصر» وذكروا أنهم أحضروها من مصر إلى هذه البلاد.

هذا إلى جانب لوحات أخرى فنية من الصين واليابان.



المؤلف على مدخل قصر المتحف في جيفور

ومن اللوحات المهمة عندهم لوحات تحكي خلاف آلهة الهنادكة الكبرى وخصوصاً الخلاف بين (رام)، و(راون) وتصور القرد (هنومان) وكيفية إحراقه الحصن الذي في (سيرالنكا) وذلك حين انتصر لرام وخلص زوجته (سيتا) من راون الذي كان خطفها إلى سريلنكا.

وصور القرد وهو يهزم عسكر راون ويخرجهم من الحصن.

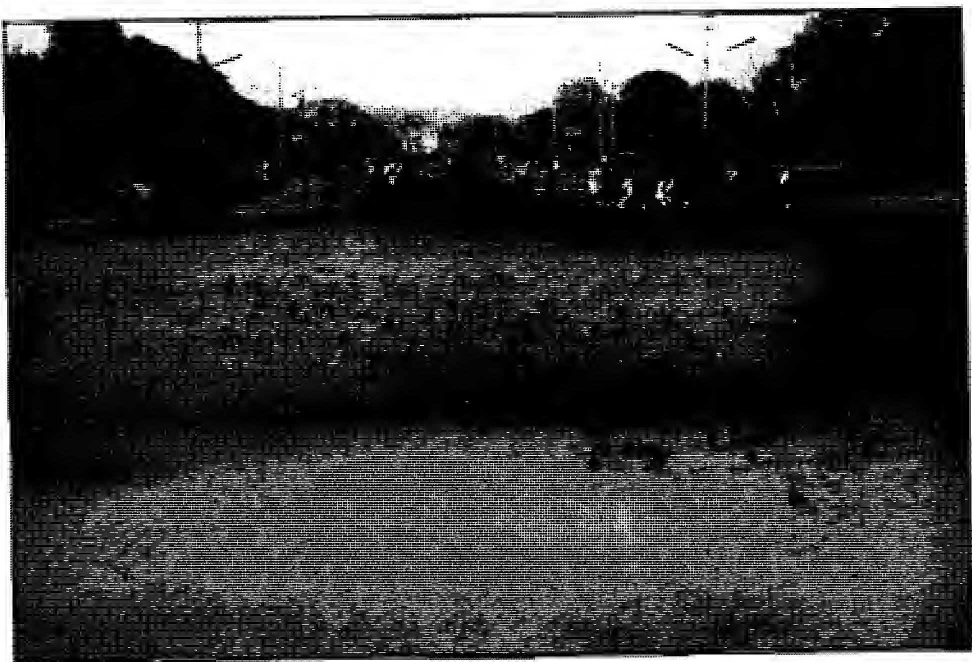
مما يذكر أنهم يعبدون القرد (هنومان) بسبب مساعدته لإلههم رام.
وقد صوروا حتى معركة انتصار القرد على جيش راون في البحر

وكيف أن الخيل كانت تركب على سمك بحري خرافي وكذلك الجنود.

وفي هذا الجو الخرافي الهندي لم ينسوا أن يزينوا المكان بلوحة يونانية بعيدة عن الجو الخرافي المحزن وذلك في رسم امرأة جميلة الجسم ونصفها الأعلى عارٍ.

كما رسموا لوحة تمثل معركة حربية قادها الاسكندر الأكبر.

وتجولنا على هذا المتحف الذي هو هندي هندوكي يكاد يكون خالصاً لولا شيء من طراز الفن الإسلامي في البناء دخل في بنائه.



الحمام في ميدان أمام متحف جيفور

ثم خرجنا إلى باحة الحديقة، وأجمل ما فيها حمام ـ جمع: حمامة ـ لا يذار أي: لا ينفر ولا يصاد لذلك تراه يتجمع حول الزوار ينتظر ما قد يلقونه له من حب أو نحوه.

ولحديقة (نيواس) هذه العامة الكبيرة التي يقع فيها المتحف بوابة واسعة احتاجوا لها في المرور فصارت وما بعدها من المدينة شارعاً عاماً واسعاً مزفلتاً.

وفي هذه الحديقة الواسعة قسم خاص للطيور فيه طيور قليلة، وآخر للحيوان فيه عدد قليل أيضاً من الحيوان، ولكنه كله كان مغلقاً، لأن الشمس أوشكت على الغروب.

ومع ذلك رأيت في هذه الحديقة امرأة فقيرة عليها خلاخيل في ساقيها، ودملجان في ساعديها والدملج حلية مفتولة تضعها المرأة في ساعديها وكان نساؤنا يستعملنها في القديم ويسمينها المفاتيل، وتلك المرأة تجمع الأعواد اليابسة من أنحاء الحديقة وهي حديقة خضراء ومطروقة وهي في داخل المدينة لذلك لا يكون فيها يابس وإنما هي تجمع أعواداً بعضها في حجم السواك تريد أن تجمع ما تستطيع به إيقاد النار.



ريفي وامرأته وطفله في حديقة نيواس في جيفور

مطعم سلاطين المغول :

بعد صلاة المغرب ذهبت مع الأخ عبد الباسط إلى مطعم للمسلمين اسمه (مغل دربار) وفسر لي معنى (دربار): بأنه سلاطين أو كبراء. أما مغل فهو مغول، فيكون معنى اسمه: مطعم سلاطين المغول، وظني أن المراد: بلاط المغول. ورجوت من هذا المطعم (السلطاني) أن يكون نظيفاً، فكان وسطاً في هذا الأمر، بين ما أرجوه وما أخافه، وقد طلبنا أرزاً ومرقاً ولحماً فكان طعامهم لذيذاً رخيص الثمن.

ومن مزايا هذا المطعم أن فيه مكيفاً للهواء وهذا أمر له أهميته، وإن كان الحر هنا جافاً خفيف الوقع.

ويقع المطعم على شارع اسمه (موتي دونكري) عليه مسجد يعرف بمسجد القريشيان وهو مضاف إلى قوم يقال لهم: القريشيان، لأنهم الذين بنوه ويزعمون أنهم من قريش وأن هذا هو سبب تسميتهم، وأكثرهم يعملون قصابين يتولون ذبح الأغنام والدجاج على الطريقة الإسلامية، وليس في مسجدهم قبر.

وشارع (موتي دو نكري) هذا هو سوق تحف به الحوانيت وفيها عدد لابأس به للإخوة المسلمين الذين يصلون في مسجد القريشيان هذا.

يوم الأربعاء ١٦/١/١٤٠٨هـ ١٠ سبتمبر ١٩٨٧م.

صباح راجستاني :

ولم يكن هذا الصباح قاراً في الفندق أو متمثلاً في منظر من غرفة، بل كان من أوله متنقلاً مستمراً. ذهبت من الفندق إلى بيت الأخ الكريم الشيخ عبد الواحد عبد الأحد وذلك لتوديعه ثم دفع مائة دولار أمريكي إليه تبرعاً لمدرسة فيض التبليغ. فانطلقنا من الشارع العام الذي غرسوا فيه أشجاراً من أشجار النيم الذي غدا ضخماً ذكرني بأشجار النيم في شوارع مدينة (صوكوتو) في شمال نيجيريا التي كانت عاصمة دولة الشيخ عثمان بن فودي الإسلامية، فتلك المدينة تعد بحق مدينة النيم لكثرته في شوارعها وحدائقها، بل وبيوتها.

وقد بكر الناس هنا إلى الشوارع فعادتهم أن يبدأوا العمل مبكرين ثم إنهم ينامون مبكرين، والطوائف التي ليست موظفة في الحكومة والشركات كثيرة، بل هي الأكثر من السكان.

لباس راجستان :

طغى اللباس العالمي المسمى بالإفرنجي على معظم الشبان المتعلمين في الهند، وغير المتعلمين من سكان المدن اختاروه لسهولة لبسه ولكونه ييسر الحركة عند العمل، على أنهم اقتصروا منه على السروال والقميص القصير الأكمام، وتركوا الرؤوس عارية.

غير أن هناك طوائف من الناس من المتقدمين في السن خاصة ومن القرويين، والذين يحبون المحافظة على القديم تجدهم يتمسكون بالزي الوطني لولايتهم «ولاية راجستان» التي معنى اسمها كما ذكرت: بلاد الملوك أو بلاد الأمراء.



عامل بناء في جيفور عليه الفوطة الهندوكية القديمة

وأهم ما يميز لباس راجستان عمامة خاصة تشبه على البعد عمائم السيخ غير أنها تكون لها ذؤابة تكون واقفة في بعض الأحيان، وعلى الصدر قميص تحته فوطة يختلف لبسهم لها فمنها ما هي فوطة مسترخية معتادة تشبه الفوط التي يلبسها الأندونيسيون، إلا أنها أقصر منها، ومنها الفوط المشدودة القصيرة التي يبين منها أعلى الفخذ، وهي اللباس التقليدي للمتمسكين المتشددين من الهنادكة في أكثر بلاد الهند.

أما النساء، فإنه اللباس التقليدي المشهور في الهند الذي يتألف من الساري الطويل العريض تكون له ذؤابة كبيرة مسترخية تنسفها المرأة على كتفها.

وصلنا الشارع التجاري الهام (رام كنجي) ولم تفتح معظم حوانيته

بعد، فظهرت مياه المجاري في القنوات التي تجري أسفل رصيف الشارع بمنظرها البشع ورائحتها العفنة.

ذهب بي الأخ عبد الواحد بن عبد الأحد جزاه الله خيراً إلى حانوت لأحد الإخوة المسلمين في هذا الشارع وذلك من أجل شرب الشاي والإفطار.

فدخلنا إلى حانوت الأخ الشيخ (محفوظ ناصر) وهو طالب علم يقوم بالتدريس في مدرسة (فيض التبليغ) محتسباً متبرعاً دون مقابل مثله في ذلك مثل الشيخ عبد الأحد.

ومحله يبيع الإفطار للناس وذلك من قدر ضخم مليىء بالحليب موضوع بجانب نار خفيفة، وفيه مغراف له يد طويلة يغرف الشيخ لمن أراد من هذا الحليب، فيأخذ منه قطعة من الخبز أو الحلوى يأكلها ويشرب الحليب وهذا هو إفطار أكثرهم.

ودعاني إلى الشرب منه فلم استطع رغم محاولتي في نفسي أن أجاملهم، وذلك لكون قناة المجاري تحت (الدكان) وأسراب من الذّبان تحوم في الجو.

بل إنني أحسست بالغثيان عندما رأيت الناس يتناولون إفطارهم على هذه الصيغة.

وطلبت شاياً سليمانياً أي: دون حليب، ومعه الليمون أعصره عليه لتعقيمه وإن كان إخواني يظنون أنني اشتهي شرب الشاي بالليمون والواقع أنني لا أحب وضع الليمون في الشاي إلا في مثل هذه المناسبات.

ومن المكدرات في هذا الصباح الراجستاني الباكر التنبول الذي يؤذي مضغه العين، ثم يؤذي منظر البصاق منه وهم يطرحونه بكثرة على أرض الشارع، ويحدث أحياناً أن يبصق المرء منهم كمية ضخمة من هذا الشيء الملون الذي يشبه على البعد لون الدم فتتقزز النفس وتشمئز.

ولاحظت أن بعض المسلمين يمضغون التنبول أيضاً مثل غيرهم، ويبصقون كما يبصقون.



هندوكي قارىء الكف في شارع في جيفور، ووقف بجانبه الأخ ذاكر

وفي صباح جديد ينتظر المرء أن يصافح بصره منظراً جميلاً من شارع نظيف أو رصيف منظم فضلاً عن الزهرة المتفتحة، والنبتة الخضراء التي يداعبها النسيم، فإنك ترى هنا إلى جانب البصاق أخثاء كبيرة من أخثاء البقر وهو رجيعها ترمى به في الشارع، فتحس أنها تفعل

ذلك بتكبر وتعاظم كما تفعل وهي تسير الهوينا في الشوارع تتمايل وتتباطأ ولا أحد يضربها، أو يبعدها بالقوة لأنها معبودة لأكثر الناس فتعجب من بلاد الهند: بلاد العجائب.

ومرت عربة من عربات الجِمَال فإذا بهم وضعوا لها عجلتين من المطاط مقرونتين تشبهان العجلتين للشاحنة الصغيرة، وكأنما شعروا أن العجلة الواحدة وهي إطار السيارة لا تتحمل الثقل الذي يستطيع أن يجره الجمل.

إلى جامعة الهداية :

رأينا بعض المساجد هنا وأكثرها مساجد معتادة لا تتميز بالقوة في البناء أو المبالغة بالإنفاق عليها عكس المساجد التي رأيناها في ولاية كجرات قبل هذه.

والسبب في ذلك أن ولاية كجرات كان يحكمها مسلمون فبنى حكامها المساجد الضخمة الفاخرة البناء الكبيرة المساحة.

أما راجستان هذه فإنه كان يحكمها كفار حتى إبان فترة الحكم الإسلامي الشامل كان فيها حكام لهم استقلال ذاتي في الحكم. ولذلك كانت جميع المساجد في مدينة (جيفور) هذه بناها أفراد أو جماعات من سائر الناس ولم يبن الحكام أي مسجد إلا مسجداً واحداً بناه حاكم راجستان الذي يسمونه المهراجا من أجل السلطان (أكبر خان) أحد أباطرة المغول في الهند، وسماه ذلك الحاكم الكافر (جامع اكبري) نسبة إلى السلطان أكبر خان.

ويقع في منطقة مهمة خارج جيفور تبعد عن المدينة بمسافة ٨ كيلو مترات وسوف نزوره إن شاء الله.

ولكننا سنقوم أولا بزيارة جامعة إسلامية مهمة اسمها: (جامعة الهداية) في مكان خارج عن المدينة، بل هو بعيد نوعاً ما عنها. فنستفيد من ذلك زيارة الجامعة ورؤية ريف راجستان.



خارج جيفور في الطريق إلى جامعة الهداية

استأجرنا لهذا الغرض عربة من عربات الركشا ذات المحرك سائقها مسلم اسمه (محمد رمضان) وأخذناها دون غيرها لكونها نظيفة وجديدة، وكانت الأجرة ستين روبية لمدة تتراوح بين ٤ و ٥ ساعات إلى تلك المنطقة البعيدة. ويساوي ذلك (١٥) ريالاً سعودياً، أو أقل قليلاً من أربعة دولارات أمريكية.

ودعت الشيخين الكريمين عبد الواحد ومحفوظ وركبت مع الأخ عبد الباسط الذي لابد من وجوده معي لكونه يعرف العربية وهو من أهل البلاد.

وتقع جامعة الهداية في داخل الريف المنفصل عن المدينة على بُعْد ١٢ كيلومتر منها. اخترقنا بوابة رمزية مزخرفة بخطوط حُمْر اسمها (جوراوو قيت) أي: بوابة الأمراء.

ثم خرجنا من مدينة جيفور إلى الريف الذي كانت فيه أشجار صحراوية خضر أي: من أشجار الظل التي تزدهر في المناخ الصحراوي، وبعضها جلب إلى بلادنا حديثاً.

وقرب الأماكن المزروعة أشجار من أشجار البنسيان التي تبدو عند ازدهارها كأنما هي المظلات الخضر المفتوحة.

ومع ذلك لا يعدم المرء في الطريق روائح عفنة لاأدري مصدرها.

وقابلتنا عربات النقل على الحيوان واحدة منها يجرها ثور ضخم، وأخرى يجرها جمل قوي. وكثرت أشجار العُشَر وهي موجودة ومعروفة في صحرائنا ولا أراها تنبت وتكثر إلا في المناطق الصحراوية والشبيهة بالصحراوية.

ومررنا ببحيرة تتجمع فيها المياه المستعملة القذرة بجانبها قصر قديم كان لأحد المهراجات وكان سلط بعض الأودية لتأتي مياهها لهذه البحيرة.

أما العربات التي تستعمل الطريق التي نسير عليها وهي رئيسية فإنها الشاحنات الكبيرة والدراجات المعتادة، وعربات الإبل، والحمير التي غالباً ما يقتصر الحمل عليها على الأثقال ويسير خلفها أربابها من رجال ونساء، ثم مر الطريق بين جبال فيها وادٍ منخفض أخضر.



الدراجة ذات المحرك
(موتور ركشا) واقفة في الطريق الذي عليه جامعة الهداية خارج جيفور

جامعة الهداية :

رأيناها على البُعْد شامخة البناء، واسعة الفناء، لا يصدق من يراها لأول وهلة أنها بنيت بنفقة أناس من المحسنين من سائر الناس، لأنه لا يقوى على بناء مثل بنائها في العادة إلا الحكومات. ومكتوب اسمها عليها بخط كبير بارز بالعربية: «جامعة الهداية» وليست معه لغة أخرى.

تأملت موقعها قبل الدخول، وأنا ألتقط صورة بوابتها الخارجية فإذا بها في جو دراسي هادىء حقيقي، من ريف خالٍ من السكان تماماً تحيط بها ربى بعضها مخضر من أعشاب وحشية سببها ذلك المطر القليل الذي نزل في موسم الأمطار قبل أيام.



مدخل جامعة الهداية

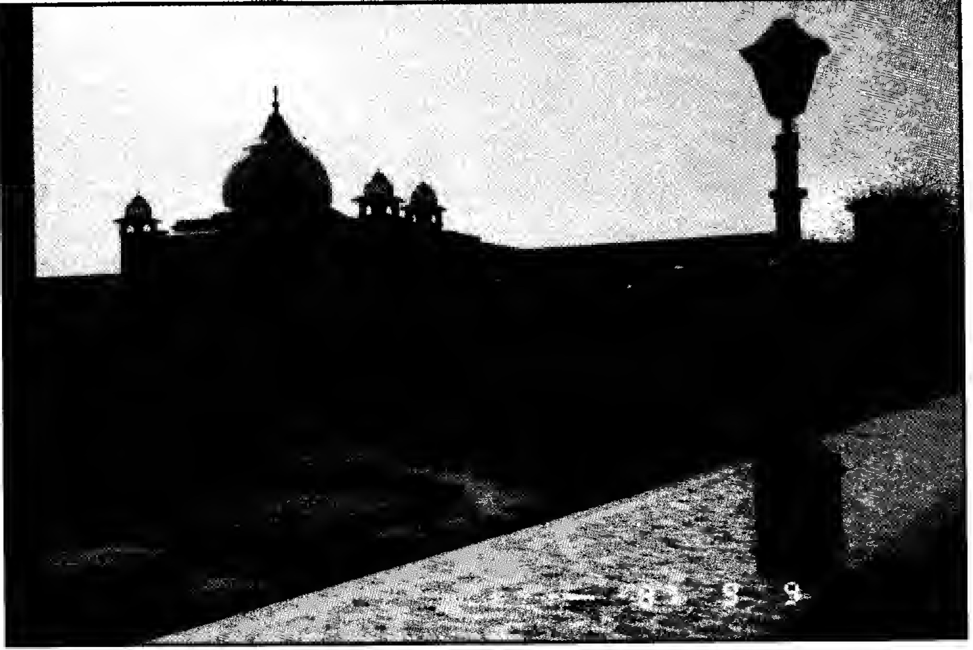
وسرنا في حديقة واسعة نقصد المبنى الرئيسي في الجامعة فوجدنا الحديقة ذات طرق منظمة مستقيمة وزهور منسقة وأرصفة فاخرة.

بل إن باب المبنى الرئيسي أحسن من الأبواب التي رأيناها في قصور المهراجات وهم ملوك راجستان.

وجدنا الأخ الشيخ محمد خالد الندوي عميد الجامعة على مكتب فاخر مزين بالزهور في زهريات ثمينة، ولم يكن لديه ولا لدى غيره علم بمجيئي، بل كان ذلك مصادفة محضة، وقد زينت حيطان الجامعة وقاعاتها بعدد من ساعات الحائط الثمينة.

رحب بنا الأخ محمد خالد الندوي، وهذه النسبة إلى مدرسة دار العلوم (ندوة العلماء)في مدينة لكنهو عاصمة مقاطعة اترا براديش بمعنى الولاية الشمالية ويرمز إليها بحرفي(يو بي)وهي أكثر ولايات الهند سكاناً.

وهذه النسبة لكون الأخ محمد خالد تخرج في تلك المدرسة الواسعة المشهورة وقد ذكرت أمرها في كتاب: «شمال الهند» من هذه السلسلة عن الرحلات في البلاد الهندية.



جامعة الهداية

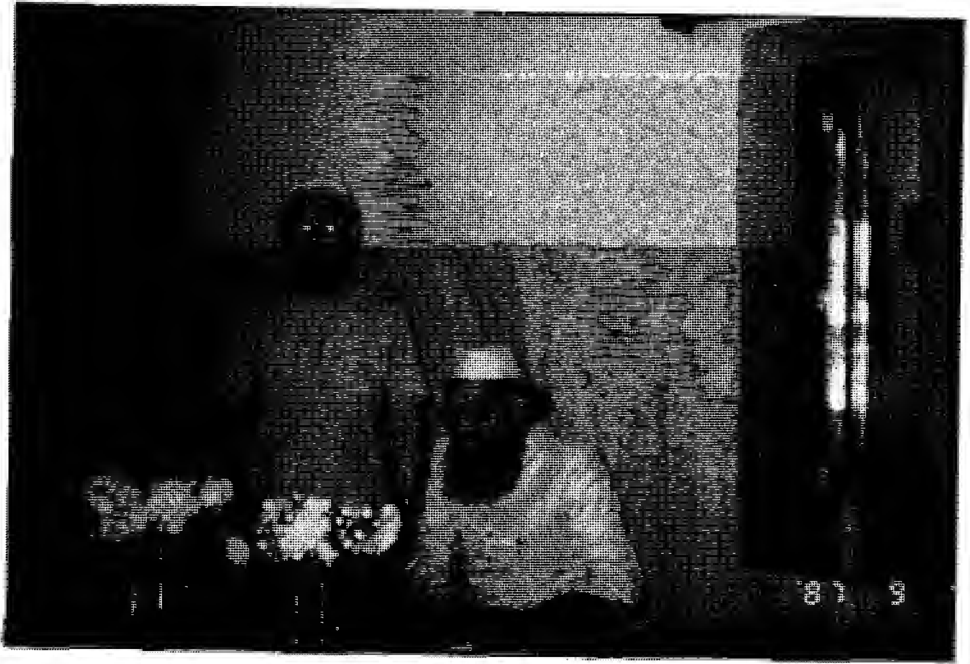
تحدث عن تأسيس هذه الجامعة واصطلاح الجامعة في الهند لا يعني بالضرورة أن تكون ذات مرحلة عالية من التعليم. فذكر أن الذي أسسها وقام على بنائها ثم على أمرها بعد ذلك هو الشيخ عبد الرحيم المجددي، من أهل (جيفور) وهو من أصل أفغاني من أسرة المجددي المشهورة في أفغانستان.

وذكر أن أرض الجامعة متسعة بحيث بلغت (٢٠٠) فدان كلها مِلْك للجامعة بطريق الشراء، مع أن هذه الجامعة هي خيرية أشبه ما تكون بالوقف.

جولة في داخل الجامعة :

بعد الحديث عن الجامعة نفسها صحبنا العميد الشيخ محمد خالد الندوي إلى جولة في داخل الجامعة فكانت الوقفة الأولى في غرفة المدرسين وهي غاية في النظافة والترتيب ونسيت أن أقول إن باب المبنى الرئيسي للجامعة الذي دخلنا منه قد جلب زجاجه الفاخر الملون من ألمانيا، ولم يرضوا للجامعة بما تصنعه الهند.

وكذلك النوافذ بنيت بطريقة غالية يتجلى فيها الذوق الرفيع وقد فرشت أرضها الداخلية بالرخام الجيد.



المؤلف بجانب مساعد
الأمين العام لجامعة الهداية الشيخ محمد خالد الندوي

ومن الملاحظ أنهم جعلوا جلوس المدرسين في غرفتهم على حشايا وثيرة وليس على مقاعد معتادة، وذلك من أجل الرجوع إلى حال

العلماء الأوائل في جلوسهم وهم يلقون الدروس على الطلبة أو يطالعون الكتب.

ثم دخلنا أول فصل من فصول الدراسة، فكان أول ما استرعى انتباهي أن اللافتات على الفصول كلها بالعربية ليست معها لغة أخرى، فكان نص اللافتة على الفصل الذي وقفنا عنده أول الأمر هو (درجة إعدادية «ألف» أول).

ومقاعد الطلاب هي مقاعد دراسية خشبية معتادة، ولكن من النوع الممتاز ثم دخلنا فصلا آخر، فكان فيه الأخ (محمد صهيب الحسيني) وهو حفيد أبي الحسن من قبل أمه أي: أم محمد صهيب.

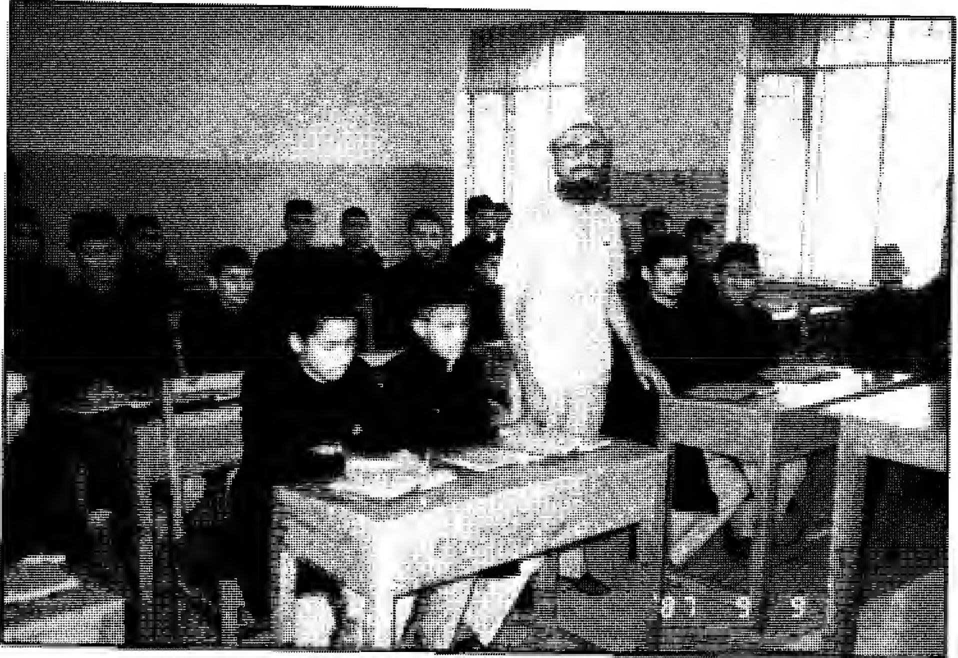
ثم انتقلنا إلى السنة الأولى العالية كما أسموها ورأيت المقرر عندهم في علم الصرف فإذا به (شذا العَرْف، في فن الصرف).

واطلعنا على بقية الفصول فأعجبني أنهم أدخلوا مبادىء علوم أساسية مدنية في هذه الجامعة الإسلامية من ذلك مبادىء الهندسة وهي قليلة جداً لا تؤثر على مستوى الدراسة العلمية الدينية فيها.

والطلاب كلهم يعيشون في الجامعة يأكلون وينامون، وتوفر لهم إضافة إلى ذلك ملابس طلبة العلم وزعماء المسلمين الأوائل من أهل الهند وهو جبة تضرب إلى الركبتين تحتها سروال أبيض جيد، وفوق الرأس قلنسوة أي: طاقية.

وهذا كان أفخر الأزياء في الهند، ولذلك اختاره رئيس وزراء الهند السابق (جواهر لال نهرو) ليكون لباساً له وللرسميين من أهل الهند، ولو كانوا من غير المسلمين، لأنه لباس هندي صميم، ولكون اللباس

الهندوكي التقليدي الذي عرف به زعيم الهنادكة السياسي الروحي الذي يسمونه (المهاتما غاندي) ونحن لا نسميه بذلك. لأن معنى (مهاتما) قدّيس، ومعاذ الله أن نعتقد أنه كذلك وهو وثني متمسك بوثنيته.



المؤلف في أحد الفصول الدراسية في جامعة الهداية في جيفور

ولباس الطلبة هذا هو لباس الطلبة والأساتذة في (ندوة العلماء) وهو الذي يلبسه الشيخ أبو الحسن الندوي مدير (ندوة العلماء).

وغرف الدراسة في هذه الجامعة جيدة، لا يمكن أن تصل إليها، بل لا تقاربها غرف الدراسة في المدارس الحكومية ولا حتى غرف الدراسة في المدارس الخاصة الهندوكية.

وقد جهزوها حتى بما يمنع تردد الصدى عند الحديث فيحدث ضجة.

ونظراً إلى أن المنطقة صحراوية، والمياه غير متوفرة فيها، فإن الناس يحفرون آباراً قد يصادفون فيها مياهاً قليلة وقد تكون إلى قلتها ملحة، ولذلك حفروا هنا ستة آبار.

وقال الأخ محمد خالد الندوي وأنا أشير إلى هذه الخضرة الوحشية - أي: غير المزروعة في الأرض والجبال: إن هذا كله مؤقت، وقد نبت في موسم الأمطار وسيزول بعد حين ويصبح هشيماً تذروه الرياح فتعود المنطقة صحراء جرداء كما كانت.



الحديقة الداخلية
للمبنى الرئيسي لجامعة الهداية في جيفور عليه الفصول الدراسية

ثم انتقلنا إلى مكتبة الجامعة وفيها كتب قيمة إلا أنها لا تملأ إلا أقل من نصف الرفوف فيها، وذلك لحداثة الكلية وسعة المكتبة ويأملون أن تكون المكتبة مرجعاً لطلبة العلم في المدينة لما تحتويه من الكتب القيمة الكثيرة.

وأروني غرفة لأحد الأطباء الذين يحضرون بعد المغرب لتطبيب الطلبة والموظفين.

ثم اطلعونا على رواق واسع يتدرب فيه بعض الطلبة على تركيب المحركات الكهربائية وعلى عدة محركات أخرى، وكيفية الخراطة وإصلاح المحركات.

ثم رواق الطلبة كما يسمونه وهو الذي فيه مساكنهم في الجامعة، ورأيناهم يعملون في جانب من الجامعة يبنون بناء كبيراً وفي العمال عاملات هندوكيات كالآتي رأيتهن في أنحاء من الهند، فذكروا أن السبب في كثرة تشغيل المرأة مع كونها أضعف جهداً من الرجل وأقل إنتاجاً هو رخص أجرتها فهي تأخذ ٧ روبيات أجرة يومية أي: نصف دولار أمريكي أو أقل قليلاً من ريالين وأما العامل من الرجال فإنه يأخذ ٢٥ روبية.

قسم تحفيظ القرآن:

وصلنا إلى قسم ملحق بالجامعة فيه طلبة يتعلمون تلاوة القرآن الكريم وحفظه وقد جلسوا على حصر نظيفة قد وضعوا أمامهم حاملات المصاحف الخشبية فوقها المصاحف. وهم مثل طلبة الجامعة ينتمون إلى عدة ولايات هندية جاؤا للدراسة في هذه الجامعة، وليسوا محصورين في أبناء ولاية راجستان وحدهم فعلى سبيل المثال قرأ أحد الطلبة أمامنا آيات كريمة بتلاوة جيدة واسمه محمد ذاكر وهو من بلدة (فرخ آباد) في ولاية (يو بي).

وفي المطبخ رأينا ٧ عمال يعملون فيه ويطبخون فيه كل ما يحتاج إليه الطلبة من الغذاء.

وقد تركت هذه الجامعة العظيمة معجباً بما رأيته فيها من استعداد عازماً على مقابلة مؤسسها والقائم على أمرها الشيخ (عبد الرحيم المجددي) فسألت عنه عسى أن أتمكن من السلام عليه قبل سفري وشكره على عمله والدعاء له بالمثوبة.

ولكن عميد الكلية الشيخ محمد خالد الندوي كان أسرع مني إلى الشيخ عبد الرحيم إذْ أبلغ ابنه بالهاتف فكان أن أرسل إليّ سيارة قبل أن أكمل الجولة خارج جيفور، كما سيأتي.

هذا وقد كتبت في دفتر الزيارات الكلمة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي يسر لي زيارة جامعة الهداية في هذه البقعة من البلاد التي يقطنها إخوة لنا من المسلمين في الهند، فقد سررت عظيم السرور بما شاهدت في هذه الجامعة من الموقع الممتاز، الطيب الهواء، النقي التربة، ومن الأبنية الجميلة الحديثة التي لم يبخل القائمون على الجامعة في الإنفاق عليها حتى غدت تحفة رائعة من تحف البناء، لا يقوى على الإنفاق على مثلها إلا من رزق سخاء في النفس وثقة في أن الله سبحانه وتعالى سيخلف ما أنفقه، وإنها لمفخرة بين المدارس الإسلامية في مظهرها ونظامها ونرجو أن تكون كذلك في معناها إن شاء الله تعالى.

ثم إنها لمفخرة للمسلمين بين أهل الأديان المختلفة في الهند الذين يعجزون أن يبنوا بجهودهم الخاصة مثل هذا المبنى في هذا الجو الدراسي النقي، البعيد عن الازعاج من الأصوات، وعن تأثير الشوائب من الهواء، لذلك يجب على كل من يعلم بأمرها ويزورها مثلنا أن يخبر إخوانه المسلمين خارج الهند بما شاهده فيها، وسوف أفعل هذا إن شاء الله تعالى، لأن مثل هذا العمل العظيم جدير بأن تتضافر جهود الإخوة المسلمين في خارج الهند مع جهود المؤسس لهذه الجامعة وهو فضيلة الشيخ محمد عبد الرحيم المجددي أثابه الله وجزاه خيراً، وذلك من أجل استكمال أبنيتها التي لا يزال بعضها في عداد المشروعات ومن أجل أن تستمر الدراسة فيها كما خطط لها القائمون عليها دراسة إسلامية نقية، ولكنها تزود طلابها بمعرفة مهنية تنفع المتخرجين فيها في مستقبل حياتهم.

كذلك أكرر الشكر لله سبحانه وتعالى أن يسر لي الإطلاع عليها، وأكرر الإعجاب والتقدير للجهود العظيمة التي بذلت في تأسيسها وعمارتها ثم في

الدراسة فيها حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن، وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، باقياً ثوابه لمن أسهم فيه ومن أسسه إلى يوم القيامة، وأن يوفق الإخوة المسلمين خارج الهند إلى التعاون مع هذه الجامعة ومعاونتها على الاستمرار والنمو والازدهار عملا بقوله تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ إنه سبحانه وتعالى هو السميع المجيب، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

في ريف راجستان :

المنطقة التي فيها الجامعة هي صحراوية كما قدمت، وسنذهب إلى أماكن في ريف راجستان على حافة الصحراء، وتقع في ريف فيه عمارة وهي أماكن عدة أبرزها قصر الملك أو على الأدق قصور الملوك لأنها أكثر من قصر واحد كما سيأتي.

غادرنا جامعة الهداية في العاشرة والنصف مع طريق أسفلتية أخرى، وهذه الطريق هي التي تقود إلى (دلهي) عاصمة الهند، ولذلك كثرت فيها الناقلات أي: سيارات النقل الكبيرة.

قرية سروى :

ثم تركنا دلهي وعدلنا عنه إلى قرية تسمى (سَرْوَى) مختلطة السكان مابين هنادكة ومسلمين والهنادكة أكثر.

ولم نقف في هذه القرية، وإنما واصلنا سيرنا إلى قرية (أمبر وبعضهم ينطق بها أمبر بباء مثناة) وأصلها كلمة (عنبر) العربية وهو العطر المعروف.

المسجد الحكومي الوحيد:

والمساجد ليست للحكومة ولا لغيرها، ولكنهم هكذا قالوه لنا في التعريف بهذا المسجد يريدون أنه المسجد الوحيد في مدينة (جيفور) وما حولها بنته الدولة أو على الأدق بناه المهراجا وهو الملك أو الأمير باصطلاحهم، ولا يطلقون كلمة (راجا) أو مهراجا إلا على الملك أو الأمير غير المسلم، أما المسلم فإنه يسمى نوّاب إذا كان في رتبة مثل رتبة هذا المهراجا.



واجهة الجامع الأكبري (أكبري مسجد) في بلدة أمبر

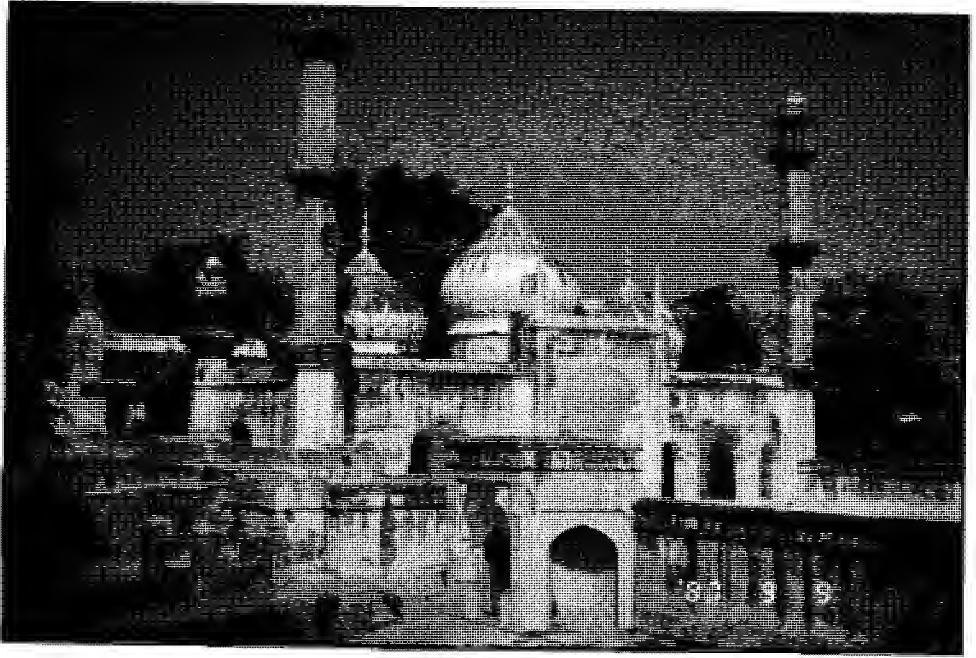
يقع المسجد في قرية (أمبر) هذه، وقد بناه الملك الهندوكي (مان سنغ) من أجل الملك المسلم الأمبراطور (أكبر خان) لأنه واقع تحت سلطته فلهذا الأمير الهندوكي سلطة محلية، ولكنه خاضع لولاية الملك المسلم.

وهذه المنطقة مهمة جداً فهي تزخر بالآثار القديمة التي أغلبها من مخلفات المهراجات أو الملوك الهندوكيين حتى هذا المسجد الشامخ المسمى (أكبري مسجد) نسبة إلى الإمبراطور أكبر خان.

وللمسجد منارات شامخة وقبة ضخمة جميلة حولها قباب أصغر منها، وقد بني على طراز البناء المغولي الذي كان هو الطراز الشائع في الأبنية المهمة في ذلك الوقت.

ويتبع المسجد عدة مرافق ملحقة به، وفيه بركة في فنائه المكشوف للوضوء ينقلون الماء إليها من بئر للمسجد، وكل ذلك مع جميع أبنيته

من الحجارة المنقوشة، وبجانب المسجد شجرة كبيرة جداً معمرة ذكروا أن اسمها (بر) ذكروا أن الهنادكة يعبدونها لذلك تعظم ولا تقطع.



التقط المؤلف هذه الصورة الشاملة للجامع الأكبري (أكبري مسجد)

منطقة أثرية :

يقع المسجد في منطقة أثرية مهمة فهذا المسجد في سفح جبل وفوقه على الجبل غير بعيد منه معبد هندوكي يسمى (معبد الملك) لأن الملك الهندوكي كان يتعبد فيه، والصعود إليه مع درج عالٍ صاعد في الجبل مسور بسور ذي شرفات تشبه الشرفات المغولية.

ويرى المرء من الجهة الأخرى قصراً على رأس جبل شامخ لا يدري كيف كانوا يصلون إليه من دون مشقة في تلك الأزمان إلا إذا كان بحمل الملك في محفة على رؤوس الرجال أو أكتافهم.

وقد أردت أن التقط صورة للمسجد واضحة له كله فلم استطع إلا أن صاحب بيت مجاور للمسجد فتح لي بيته، وقال: اصعد من هنا إلى السطح فصورت المسجد من ذلك البيت، وقد فهمت منه أنه من المسلمين وإن لم يصرح بذلك.

وعدد المسلمين في القرية قليل، ولكنهم موجودون، وأذكر أنني رأيت طائفة من بنيات المسلمين في حدود العشر مجتمعات، ذكروا أنهن ذاهبات إلى مدرسة دينية إسلامية، وقد أخبرهن المرافق أنني من مكة المكرمة فوقفن يتأملن، وهن في حالة من حُسْن الهندام والنظافة أحسن من أكثرية سكان القرية من الهنادكة.



(أيمن الصورة) بنيات المسلمين في أمبر (عنبر)

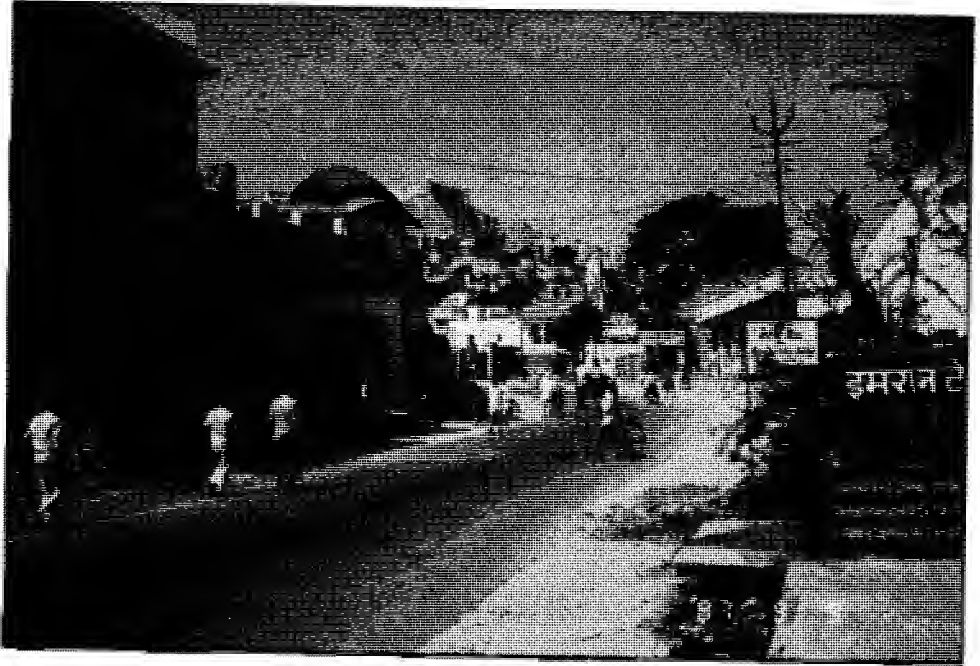
ومن الأشياء التي شدت انتباهي إليها في القرية قلة الماء وقد رأيت

عدداً من النسوة يحضرن الماء على رؤوسهن من مكان لا أدري أين هو، وذلك في جرار من الفخار.

ولا شك أنهن كن يستطعن الحصول على وعاء للماء غير جرار الفخار الثقيلة لنقله به.

في القصر الملكي :

تركنا قرية (أمبر) وسرنا غير بعيد إلى حيث القصر الملكي الذي يقع على متن جبل عالٍ ولكن ارتفاعه من الجهة التي صعدنا منه متدرج

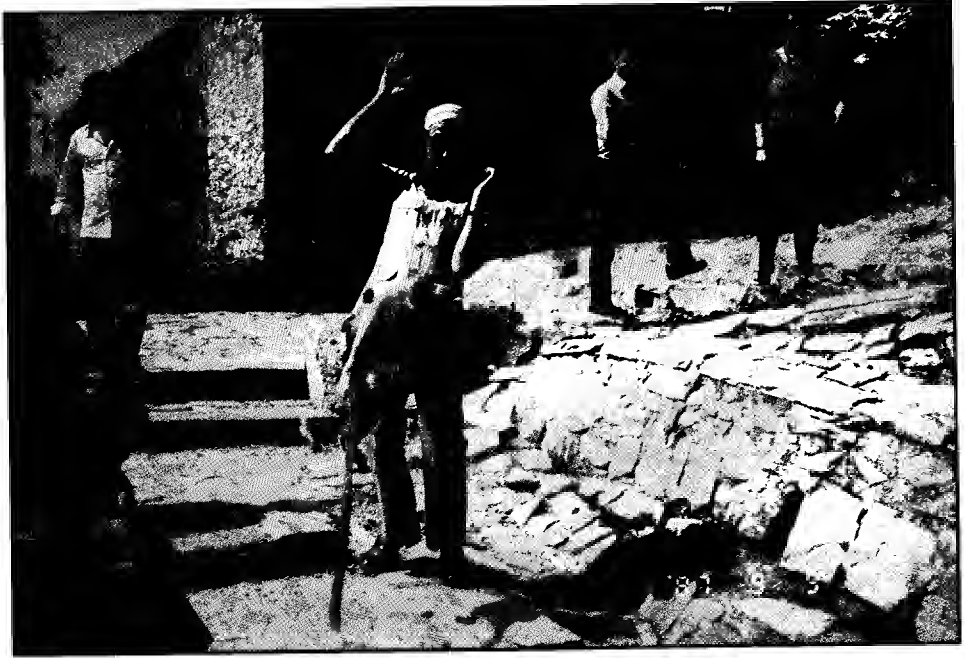


شارع في بلدة عنبر (أمبر)

بحيث وقفت الدراجة الركشاوية التي نمتطيها عند سوق صغير فيه تحف ومصنوعات يدوية، وفاكهة أهمها الموز والعجور وهو نوع طويل من القثاء.

ولم أكن أفطرت اليوم فاشتريت أصابع من الموز لي ولرفيقي الأخ (عبد الباسط ذاكر).

وكنت أرى قرداً بعيداً فإذا به يقبل فجأة والأخ عبد الباسط يصيح بي بفزع: أعطه الموز فرميت للقرد بأصبع موز أخذ يأكله. ثم أقبل يريد الآخر وطلبت في هذه الأثناء من سائح أوروبي أن يلتقط لي صورة والقرد يأخذ أصبع مَوْزٍ قد بقي معي وأنا أرفع يدي فالتقط هذه الصورة.



القرد يقفز على صدر المؤلف

وذكرت أن جميع باعة الموز ومنهم نساء كانوا يحتفظون بعصا غليظة طويلة يذودون بها القرود عن أن تخطف الموز الذي يبيعونه.

وكثرت القرود الشهب فاشتريت موزاً لها والأخ (عبد الباسط) يمنعني من ذلك ويقول: لماذا تعطيها؟ فقلت: إنه صدقة وفرجة.

ويذكر أن الموز هنا رخيص فالكيلو بروبيتين أي: حوالي نصف ريال وهو ليس بالجيد.

والقرود هنا كثيرة ولا تهاب الناس، ولكن الناس يهابونها لأنها تؤذيهم إذا آذوها وقد أخذت على عدم الخوف من الناس، لأن الناس لا يؤذونها بسبب كون الأكثرية من السكان من الهنادكة، بل إن المنطقة هي منطقة هندوكية. وهم يمنعون في ديانتهم قتل الحيوان حتى المؤذي منه كالحيات. أما القرود فإنهم يعظمونها، ومنها القرد (هنومان) الذي يعبدونه، وقد ذكرت قصة معبده وتقرب الناس إليه في كتاب «شمال الهند».

ومن لطيف ما حدث أن الأخ عبد الباسط أخفى بقية موز معه وأبعدنا عن القرود حتى نأكله من دون أن نخشى أن تنتهبه منا، ولكننا فوجئنا بأحدها يقترب وكنا أكلنا الموز وبقي القشر فرميناه إليه، فغضب لذلك.

كان الصعود منذ دخلنا حدود القصر مع أرض ترتفع قليلاً قليلاً دون درج، وإنما ذلك في حديقة للقصر نازلة مع سفح الجبل الذي يقع القصر فيه.

ثم وصلنا إلى درج منحوت في الجبل صعب المرتقى، فصعدنا فيه مع أفواج من السياح من داخل الهند ومن خارجها وفي جنبات هذا المكان المرتفع حديقة مرتفعة الأشجار.

النمس والحية :

رأينا في الحديقة هندياً قد لبس اللباس التقليدي لراجستان ومن أهمه العمامة التي يلفونها بطريقة معينة، ولديه قفة من الخشب ضيقة الأعلى

واسعة الأسفل ولها غطاء. والقفة كالزنبيل من القش وقد وضع فيها حية كبيرة وفي خارج القفة لديه نمس صغير ومعه مزمار إذا جاء السائح نفخ بمزماره فتتمايل الحية، ويتطاول النمس إليها لأنها عدوة له وهو يأكلها إذا وجد فرصته، والرجل يحاول أن يجعل النمس أيضاً يتجاوب مع الزمر.



الحاوي في أمبر (عنبر)

وهو يتطلع للسياح لينفحوه روبية - وهي ربع ريال - وكأنما حيوانه أيضاً يتطلع معه إلى ذلك.

البلاد التي تركب الأفيال :

في الحديقة وفي الأفنية الملحقة بها وكلها في أرض غير مستوية الأجزاء إلا ما كان من الأماكن المتسعة فيها نسبياً كان هناك فيل مزين

يركبه السياح فتذكرت أن الملك صاحب القصر ربما كان يصعد إلى القصر على هذا الفيل. وتذكرت أيضاً أنني في بلاد الهند التي قال فيها المسلمون: بلاد الهند والسند والبلاد التي تركب الأفيال.

وما على من أراد من السياح أن يقلد الملك الراحل في ملكه الزائل إلا أن يدفع خمس روبيات فيركب مع الراكبين في صندوق على ظهر الفيل يطوف به في حديقة القصر فيتخيل أنه ملك كبير، وربما تخيل أنه رب الخورنق والسدير وهما قصران مشهوران من قصور العرب في الجاهلية.

ورأيت طائفة من السياح البيض من الأوروبيين والأمريكيين يركب بعضهم الفيل وبعضهم يتمشى في الحديقة ينتظر رفاقه أن يصعدوا معه إلى القصر وبالمقارنة ما بينهم وبين السائحين من أهل الهند الموجودين في المكان يتبين الفرق العظيم.

فالهنود ولنضرب المثل بالهنديات فهن قد تمسكن بلباسهن، وسترن جميع أجسادهن إلا العضدين وحزاماً من الظهر والبطن أسفل الجنبين، وهن يسحبن فضلات ملابسهن ويرفعنها بأيديهن إلى أكتافهن، فإذا احتاج الأمر إلى صعود أو هبوط كان لا بد من رفع الأذيال، فلا تطأها الأقدام من الأمام، إن كان في الأمر صعود، ولئلا تطأها أقدام الرفاق إن كان الهبوط هو المراد.

وأما الأوروبيات أو أولئك البيضاوات فإنهن قد كدن يخرجن من جلودهن فضلاً عن لباسهن، وقد وجدن في هذا الجو الحار والشمس الساطعة ما يشفع لهن في عرفهن بكشف كل ما يمكن كشفه من أجسامهن، وليس فيها ما يمنع الكشف عنه عند التشمس أو الاستجمام

في محل عام إلا خيط رقيق فيه رقعة من الخلف ورقعة من الأمام.



في الفناء الخارجي قلعة عنبر
(أمبر في الوقت الحاضر) مع الأخ عبد الباسط ذاكر

والشيء الذي يقارنه المرء ما بين هؤلاء الأقوام، وبين الهنود هو ذلك الإشراق في الوجوه ومظاهر الشبع من الطعام، والنظافة في الهندام.

ومما كدر المنظر ونقص الاستمتاع في هذه الحديقة بالأبصار والأسماع منظر أكوام من القمامة يحرقونها في ركن من الحديقة كما يفعل إخوانهم في إحراق القمامة في شوارع بعض المدن.

ولا أدري لِمَ لم يجمعوها ثم يرفعوها إلى مكان بعيد حتى لا تشوه بقاياها المكان وتؤذي الناس.

مُشَرِّد القرود :

من المناظر التي تستحق التسجيل قبل الدخول إلى القصر أن هندياً نحيلاً عليه لباس الهنادكة الأصيل وهو الفوطة المشدودة جداً على وسطه، وتكشف إحدى الرجلين إلى ما فوق الفخذ حتى تعطي الحرية للحركة ومعه عصا طويلة وهو يطارد بعصاه ليمنع القرد من الدخول إلى القصر مع الناس، لأن سور القصر عالٍ ولا يستطيع القرد أن يتسوره.

وكأنما وظيفة هذا الرجل أن يمنع القرود من دخول القصر فذكرت بهذه المناسبة وظيفة قد تماثل هذه الوظيفة كانت موجودة في الهند ذات الوظائف الكثيرة الغريبة، ولا سيما ما يتعلق منها بالمعابد وما بعد الموت من حرق الجثة إلى ذري رمادها في نهر مقدس مما لن أذكره هنا لأنني ذكرته مفصلاً وعن عيان في كتاب «شمال الهند» من هذه السلسلة من الرحلات الهندية.

والوظيفة التي تذكرتها كنت قد قرأتها في رحلة ابن بطوطة رحمه الله وهي وظيفة (مُشَرِّد الذبان عن السلطان) ومُشَرِّد الذبان هو الذي يطردها عن وجه السلطان، ربما حتى عن ثيابه الملكية.

وسبب ذكر ابن بطوطة لهذه الوظيفة أنه احتاج إلى من يشفع له عند السلطان في حاجة فسأل عن أرباب الوظائف الكبيرة المقربة من السلطان، وعن أهل المقامات الذين يمكن أن ينفعوه فيما يطلبه فدلّه أحد الناصحين على ذلك الشخص الذي يشرد الذبان عن السلطان، وقال له: إنه الشخص الذي لا تجد أقرب إلى الملك منه، ولا أنفع في حاجتك.

قال ابن بطوطة: وكان ذلك بالفعل فقد استطاع مشرد الذبان الذي

يجعلها تشرد عن وجه السلطان أن ينفع فيما لم يستطعه قواد الجيوش وأرباب الشأن.

داخل قصر السلطان :

أمرونا بدفع روبية واحدة رسماً للدخول للقصر نفسه، وكانوا أخذوا منا قبل ذلك روبيتين لدخول حديقة القصر وأفنائه. وكل ذلك أقل من ريال سعودي.

بدا القصر على طراز مغولي وذلك أنه كان الطراز الشائع للأبنية المهمة غير أن فيه مسحات ولمسات من فن آخر غريب هو الفن الهندوكي القديم المتمثل في المعابد الهندوكية القديمة، وإن لم يكن قد استمر ازدهاره على الدهر لأن أطرزة غيره من أطرزة البناء قد حلت محله.

وعلى ذكر حلول المحل أقول إن هذا القصر كتب عليه اسمه (محل) وهي الكلمة العربية الفصيحة التي عظم شأنها في الأوردية حتى صارت اسماً لذلك البناء العظيم: (تاج محل) ولغيره من المسميات المحترمة. ويدخل القصر مع بوابة مسقوفة فوقها إيوان غير عريض منقوش بزخارف متعددة وتتوجه صورة إله من آلهتهم الصغيرة وهو الذي جسمه جسم إنسان ورأسه رأس فيل أي: خرطوم طويل، ويسمونه (قانيش) وقد سبقت الإشارة إلى قصته.

وجميع مافي مداخل القصر يدل على البذخ والإسراف. وعندها ذكرت ما أخذه بعض الهنادكة المعاصرين المتعلمين والمتعالمين على أباطرة المغول المسلمين الذين حكموا الهند لعدة قرون من إسرافهم وبذخهم في الأبنية التي يقيمونها واستشهدوا على ذلك بما أنفقه

السلطان شاه جهان على قبر زوجته الأثيرة لديه (ممتاز محل) من البناء على قبرها ذلك البناء الخالد (تاج محل) الذي ذكرت أمره مفصلا في كتاب «شمال الهند».

والواقع أن الأبنية التي أقامها ملوك المغول أو أمراؤهم في الهند كان في بعضها إسراف وكان في بعضها إفراط في إظهار القوة أو الإنفاق على المبنى والإسراف أمر مذموم في الإسلام ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾.

وما أولى الذين أسرفوا في إقامة القصور والمحلات أن يصرفوا ما بذلوه فيها على المرافق العامة كما فعل السلطان العالم المسلم حقاً (عالم قير) أحد سلاطين المغول المسلمين إذْ صرف جل جهده على تسهيل الطرق الوعرة، وبناء المرافق العامة حتى إنه بنى استراحات للمسافرين فيها ما يحتاج إليه المسافر في طريق امتدت أكثر من ألفي كيلو متر من لاهور في باكستان اليوم إلى (داكا) في بنغلاديش في الوقت الحاضر.

إلا أنني عندما رأيت ما فعله هذا الملك الهندوكي الصغير جداً، بل الحقير بالنسبة إلى ملك المغول الكبير الخطير في الهند قلت: إنه قد أسرف حقاً مثلما أسرفوا أو أكثر، لأن من ينفق عن سعة، ويصرف عن إمكان، ليس كمن يفعل ذلك عن مال معدود، وملك محدود. وإن كان الإسراف من حيث هو مذموم وصاحبه ملوم، ولوكان هذا الملك الهندوكي أنفق بعض ما أنفقه في ذلك القصر على رعيته في بلاد الملوك (راجستان) وأغلبهم يدين بدينه، وربما كان من طينه لكان ذلك أنفع.

ودخلنا غرفة ذكروا أنها غرفة جلوس الملكة زوجة الملك وليست ملكة مالكة البلاد بنفسها. وقد أبقوا الكرسي التي كانت تجلس عليه وهو غير فاخر.

ثم تجولنا في غرف القصر الذي اعـتنى به بانوه، وربما كان فعل ذلك من باب الاقتداء بملوك المسلمين العظام في الهند الذين كان يخضع لهم خضوعاً عاماً.

وأهم مـا رأيته كـثرة (الروازن) فـيه وهذه كلـمة كانـت مستـعملـة في عامـيتنـا في نجـد وماتت الآن، وهـي نافذة غـير نافـذة إن صح الـتعبـير فالروزنة تكون فـي حائط الغرفة من الداخل بمثابـة الخزانة التي لا باب عليها، يضع فيها أهل المنزل مـا يحتاجونه إلى رفعه عن الأطفال أو من أجل الاحتفال به كالخواتم والحلي والأدوية وأدوات الزينة.

وعلى ذكر أدوات الزينـة رأيتهم أبقوا في هذا القصر ماكـان يستعمل فيـه لرش مـاء الورد أو الـعطـور على الـناس وكـنا ولا زلـنا ـ فـي نجد ـ نسميه المَرشّ لأنه يرش منه ماء الـورد على الناس في حفلات العرس، وفي ليالي ختم القرآن الكريم في شهر رمضان.

وفي داخـل القـصر عـدة صحـون أي: أماكـن مكـشوفـة تطـيف بـها الغرف والمجـالس المبنية وهـي صغيرة أو متـوسطة السعة، وفـي أحدها شاهدنا حديقة صغيرة فيها زهور.

ثم دخلنا مـجلساً واسعاً واقعاً مـن إحدى جهاته على حافـة الجبل، بل لا يمكـن الوصول إلـيه من تـلك الجهـة لذلك جعـلوا النـوافذ من تـلقائـها بشـباك دون باب لأنه لا يمـكن الوصـول إلى النـافذة من الخارج فـضلاً عن الدخول منها. أما الجهات الأخرى من المجلس فإنهم قد ركبوا أبواباً لنـوافذهـا لأنها مـن جهات مـنبـسطة أو داخـلية، وجـدران هذا المجـلس مغطاة بالفسيفساء الهندية وهي جميلة لولا فرق قليل في الألوان بين ما يوافق ذوقنا نحن العرب وما يوافق أذواق أهل الهند.

مجلس الملك :

يطل المجلس الذي دخلناه على بحيرة فيها الآن ماء وهي بحيرة تأتي إليها مياه السيول من وديان في الجبال، وقد بُني القصر بالقرب منها يطل أهلوه على البحيرة وهم فيه. ومن الأماكن التي تطل عليها مجلس الملك، ويسمونه مجلس الملك الخاص والخاص وصف للمجلس.

وأهم ما فيه أن حيطانه على طولها واتساعه مكسوة بفسيفساء صغيرة من الزجاج الملون فتراها على البعد كأنها الفسيفساء المعتادة التي تشبه (السيراميك) ولكنك إذا قربت منها رأيت صورتك فيها لأنها من الزجاج الملون فهي تلمع في أي اتجاه ذهب بصرك إليه إذا ما أُشعل فيها النور.

أو لنقل: أنها تبرق من أية جهة نظرت منها إليها.

وهذا الزجاج الملون قد كسوا به الحيطان وفق ذوق رفيع، وليس كيف ما اتفق فبعضه على هيئة غصون الأشجار وبعضه على صفة الزهور، فكأنها لوحات فنية تلمع لم تستطع السنون أن تجعل ضوءها يخبو، ولا نورها يكبو.

وقد بالغوا في تزيين المجلس الخاص للملك هذا حتى جعلوا سقفه - على اتساعه - مكسواً بالفسيفساء من الزجاج الملون أيضاً تنعكس عليه الأنوار إذا أُضيئت فتزيده نوراً وتعطيه رونقاً إضافياً.

شيش محل:

الشيش الزجاج و(شيش محل) غرفة في هذا القصر ليس فيها نوافذ، بل هي مظلمة وقد كسيت جدرانها وسقفها بزجاج مركب بطريقة خاصة

بحيث يبدو مائلاً فإذا أشعل فيها نور كعود ثقاب مثلاً انعكست الأضواء عليها في كل اتجاه، ومثل هذه الغرفة يوجد تماماً في القلعة الحمراء في مدينة أكرا جنوب دلهي وبالقرب من تاج محل الشهير.

ثم المجلس العام للملك وهو واسع وأقل زخرفة من المجلس الخاص ولكنه أوسع منه كثيراً.

وجميع هذا القصر بالحجارة الحمراء المهذبة إلا جزءاً داخلياً منه فبالرخام الأبيض.

معبد العجوز :

كنا نود أن نرى قصراً ملكياً آخر مرتفعاً في قمة الجبل غير أن الوقت داهمنا، والقصر يحتاج إلى صعود لذلك رأينا الإكتفاء برؤية ما حول هذا القصر الرئيسي الكبير من أشياء تستحق النظر ومنها: معبد هندوكي سماه مرافقي معبد العجوز.

وقد احتفوا به فبنوه بحجارة منقوشة واعتنوا بأبوابه ومداخله بشكل لافت للنظر. ولا يسمحون للمرء بدخوله إلا بعد خلع نعليه من قدميه، وإذا كان مثلي يلبس حذاءه فإنهم يجردونه من الجوارب (الشراب)، ويأخذون منه آلة التصوير أيضاً لأنهم لا يسمحون بالتصوير داخله.

وقد تمنع الأخ عبد الباسط من دخوله استكراهاً منه لذلك لكونه معبداً وثنياً، أما أنا فقد دخلته من أجل الفرجة على ما فيه.

دخلت إليه مع الداخلين إلى فناء مكشوف فيه رواق صغير داخله غرفة فيها تمثال لعجوز قبيح المنظر.

ومعلق في الرواق جرس من دخل منهم دق الجرس بيده فيسمع له

صوت حتى الأطفال الصغار رأيت ذويهم يرفعونهم ليتمكنوا من قرع الجرس، ثم يتعبدون لتمثال العجوز وذلك بأن يقف الواحد منهم أمامه ويبسط كفيه جاعلاً بطن إحداهما إلى بطن الأخرى ثم يرفعهما وهما ملتصقان إلى وجهه حتى يحاذيا ما بين عينيه ويركع قليلاً أو يجلس على رِجْل واحدة يتعبد بذلك.

وهناك سادن أي: شخص يخدم هذا التمثال عنده صبغ أحمر، من تبرع بوضع نقود في علبة عنده غمس السادن أصبعه في الصبغ الأحمر ثم طبعه على جبين المتبرع فبقي على جبهته فترة من الوقت.

ورأيت بعض الشبان يأتون بحركات رياضية تدل على قوة الجسم أمام التمثال كأن ينكب الواحد منهم على وجهه وقد انبسط جسمه. ويتكيء بكفيه وأصابع قدميه على الأرض لا يمسها من جسمه غير ذلك كما يفعل الإنسان عندما يمارس هذه الرياضة في بيته.

ومن الغريب وجود أسراب من الذباب في هذا المعبد أكثر من الموجود خارجه وقد رأيت درجاً ينزل مع باب إلى أسفل فدخلته غير أنني رأيته مظلماً وذا رائحة كريهة فتركته.

ولهذه العجوز المعبودة قصة فظيعة أنقلها هنا كما سمعتها لفظاً من الإخوة المسلمين في هذه البلاد ولم أجدها في كتاب أعزوها إليه.

قالوا: كانت هذه العجوز قوية، بل كانت مثالاً للقوة فكانت لذلك تختار الشبان الأقوياء فتختطفهم وتحبسهم عندها ليعاشروها ثم تقتل الشاب عندما ينتهي غرضها منه وتأكله.

قالوا: فعظم البلاء بها ولم يستطع الناس دفعها، وذات ليلة كان أحد

الشبان الأقوياء الذين رزقوا جمال المظهر، وروعة الشباب يهم بالدخول على زوجته ليلة عرسه فاختطفته هذه العجوز وأخذته إلى حيث تعاشره تاركة زوجته المسكينة وأمه التي ليس لها ولد غيره تبكي بحرقة، وبخاصة أن الجميع يعلمون أنها ستأكله عندما تريد. ولم يستطع أحد إنقاذه منها لأنها أقوى منهم، فذهبت أم الفتى وهي هندوكية إلى رجل صوفي من أولياء الله من المسلمين فشكت إليه أمرها وأنها لا تجد وسيلة لتخليص ابنها من العجوز إلا هو عسى أن يبتهل إلى إلهه إله المسلمين أن يخلصها من هذه المحنة ويعيد إليها ابنها الشاب.

قالوا: فصار ذلك الولي يقرأ القرآن حتى وصل العجوز فلم تستطع أن تفعل له شيئاً، ثم لطمها فصارت حجراً وكفى الناس شرها.

قالوا: فعبدها أهل المنطقة من الهنادك لأنها تمثل القوة الخارقة عندهم.

العودة إلى جيفور :

خرجنا من معبد العجوز، وتوجهنا إلى حيث تقف عربة الركشا التي كنا قد أستأجرناها لنذهب إلى مكان آخر وهناك موقف السيارات فوجدت الأخ الأستاذ محمد فضل الرحمن الندوي وهو ابن الشيخ محمد عبد الرحيم المجددي الذي أسس (جامعة الهداية) التي سبق ذكرها ومازال يتعهدها بالرعاية فسلم عليّ وأحفى السلام.

وقال: يبلغك والدي الشيخ محمد عبد الرحيم المجددي سلامه وتحياته، ويعتذر من عدم معرفته بوصولك ويدعوك إلى أن تحل ضيفاً عزيزاً علينا في بيتنا في جيفور، قال: وقد أمرني أن أضع سيارة مع

سائقها وخادماً تحت تصرفك مدة إقامتك في جيفور.

فشكرت له ذلك وقلت له: إنني على عزم السفر هذه الليلة، وقد بقيت أشياء في هذه المدينة وخارجها أود زيارتها قبل السفر، والوقت يضيق بسرعة فأرجو أن تبلغ والدكم الكريم شكري وتقديري.

فلم يتركني وأبى أن أركب عربة الركشا وأعطى سائقها أجره من عنده وأخذني بسيارته التي يسوقها سائق خاص وركبت هذه السيارة ومعي الأخ عبد الباسط حيث عدنا إلى جيفور وأخبرني أن والده خارج المدينة وسوف يعود مع الغروب.

قال الأخ محمد فضل والغداء جاهز الآن أما العشاء فإنه لا بد منه لأن الوالد سيكون موجوداً ويكون بعض الإخوة من المشايخ وطلبة العلم موجودين عليه أيضاً.

فاعتذرت له عن الغذاء ونزل في مكان في سوق جيفور، وأبقى السيارة معي.

وكان من أحسن الأشياء التي أعطانيها وعاء مبرد للماء زمزمية كبيرة مليئة بماء مصفى لا يوجد في الفندق وهو بارد قد وضعوا فيه الثلج، وقد فرحت بذلك إذ الجو حار والماء الموجود عند الناس لا يوثق به. وإنما تغلي الفنادق الكبيرة الماء لنزلائها وتبرده لهم. وليس منها فندقنا كما سبق.

الغذاء في الخلوة :

عدنا إلى مدرسة فيض التبليغ وقد نيفت الساعة على الثانية عشرة، وقال الإخوة: إننا نرى أنك تحتاج إلى الراحة لعدة دقائق وهنا في الطابق

الأسفل من المسجد وهو طابق أرضي محفور في الأرض يشبه ماكنا نسميه عندنا بالخلوة التي هي طابق يحفر في الأرض يكون تحت المسجد يصلي فيه الناس في ليالي الشتاء اتقاء للبرد، وينام فيه بعض الناس في القيلولة في فصل الحر.

وجاؤا بفراش كامل وأداروا مروحة فيه، وكان أحسن مكان كنت أتمناه في تلك الساعة لكونه بارداً لبعده عن تأثير حرارة الشمس ومظلماً لذلك ليس فيه ذباب وهادىء.

فاسترحت دقائق عرفت بعدها سبب عرضهم عليّ الراحة وهو أنهم كانوا يبتغون الغداء عند أحد الإخوة المسلمين القادرين.

وهذه عادة حميدة عند أهل الهند أنه إذا حل ضيف من الضيوف المكرمين عندهم وهم على مثل الهيئة التي عليها أهل المدرسة لا يريدون أن يقدموا لي من طعام الطلاب لأنه دون مقام الضيف الغريب في رأيهم وليس عند العاملين فيها امكان لضيافته، أن يخبروا أحد الإخوة المسلمين القادرين فيصنع الطعام للضيف ولمن يكون في صحبته من أهل المكان.

ولو كنت عرفت بذلك من قبل لطلبت منهم ألا يفعلوا لأنني استطيع أن أذهب إلى أي مطعم ولا أكلف أهل البيت مؤنة صنع الطعام لي، وهم يعرفون ذلك، وإنما أرادوا به التكريم.

وهو تكريم وافق محله إذ جاء الأخ عبد الخالق كالو ـ جزاه الله خيراً ـ بمقدمات المائدة وهي خوان أي: سفرة نظيفة، وصحون وملاعق وأوان كلها نظيفة.

ثم جاء الإخوة بالماء فغسلت يدي داخل صحن كبير دون أن انتقل من مكاني في (خلوة) المسجد.

وكان الطعام لذيذاً نظيفاً جيد الإعداد ليس فيه إلا الفلفل الذي ذكروا أنهم قللوه من أجلي ولكنني وجدته كثيراً إلا أنه محتمل. وضم المرق والأرز والخبز ولحم الضأن ولحم الدجاج ثم الحلوى.

وكان المضيف الذي حمل الطعام من بيته إليّ في المسجد الأخ عبد الخالق كالو يقدم لنا الطعام ولا يذوقه وكنت ظننته أول الأمر من العاملين في المدرسة وإلا لكنت ألححت عليه بأن يأكل معنا.

فلما فرغنا من الأكل صار يأكل هو وخادم في المدرسة، ولم يرد أن يأكل معنا إكراماً لنا.

وهذا مثال من أمثلة كثيرة عرفتها من إخواننا المسلمين الكرام أهل الهند في إكرامهم لضيوفهم.

وقد سألت الأخ (عبد الخالق كالو) عن عمله فأجاب: بأنه يعمل في تجارة الجواهر. وذكر أن له اثني عشر ولداً وأنه لا يلاقي أية مشكلة في تربيتهم لأنه يعلم أنه إذا احتسب ذلك فإنه سيكون له أجر عظيم من الله ويسأل الله تعالى أن ينفع بهم الإسلام والمسلمين.

المدينة الوردية :

في حوالي الثالثة استأنفنا التجوال وكانت معنا في هذه المرة سيارة الشيخ المجددي، وكان ابن الشيخ قد قال لي: إنه قد ملأ خزان السيارة بالوقود وأبقى السائق لأذهب إلى ما أريد الذهاب إليه منها داخل مدينة جيفور وخارجها، وقد تجولنا في بعض الأماكن التي لم أرها من قبل في

المدينة. واتضح لي طابعها الذي في ذهني عنها أكثر من ذي قبل وهو أن مبانيها حمراء الطلاء وعلى طراز معماري جيد وقد ذكرت ذلك فيما سبق إلا أنني رأيت الآن أجزاء أخرى منها قديمة على الطابع الأحمر الجميل.

ولذلك يسميها أهلها: «المدينة الوردية» نسبة إلى اللون الوردي، بديلاً من التسمية بالمدينة الحمراء الذي ليس له ذوق شاعري كالتسمية الوردية.



شارع في جيفور

ولم أرهم يصنعون بالأحياء الجديدة فيها ما صنعه أهلها الأوائل في المدينة القديمة فلا يبنونها على الطراز المعماري الفاخر، ولا يتقيدون بطلائها باللون الوردي.

والحقيقة أن المدينة القديمة أجمل من ضواحيها الجديدة لما ذكرته وذلك على خلاف المعتاد في المدن غير أن جمالها تكدره أشياء كثيرة جوهرية بعضها ذكرته ويمكنهم تلافيه مثل المحافظة على النظافة، ومنع الدواب من السير في الأسواق الرئيسية داخل المدينة وبعضها لا يمكنهم منعه مثل الفقر المدقع الذي تعيش فيه طائفة من أهل المدينة، ويصدم نظر السائح المتمتع بجمال أبنيتها. ويتمثل ذلك في وجوه مصفرة، وملابس مهلهلة مثلاً.

ولا ينبغي أن يظن ظانٍ أن أكثر أهل المدينة بهذه المثابة من الفقر إذْ الواقع أن أكثر الناس لا تبدو عليهم علامات الفقر المدقع السائد في بعض البلدان الهندية.

في القصر الملكي :

كانت زيارتنا قبل ساعات للقصر الملكي خارج المدينة، بل في ريف بعيد منها، وربما كان بني حتى قبل تأسيس جيفور، أو قبل اتساعها.

أما هذا القصر الذي نتجه إليه الآن فإنه في المدينة نفسها وقد سبق أن رأيته في اليوم الأول من مكان مرتفع في وسط المدينة ويتقاضون رسماً للدخول وقدره ست روبيات من كل شخص وقد انضم إلينا أحد الإخوة الكرام من طلبة العلم ويعرف العربية جداً اسمه (سرور أحمد بن خليل أحمد) دخلنا إلى القصر من بوابات له ثلاث كل واحدة منها تجاه الأخرى.

ويقع في منطقة اسمها (جندر محل) أي: محل القمر، لأن جندر معناها: قمر.



المؤلف خارج بوابة القصر الملكي في جيفور
وثلاثة من الحراس عند الباب

وأول مكان دخلنا من القصر اسمه (مبارك محل) وهاتان الكلمتان عربيتان فصيحتان. ذكروا أن هذا المحل مخصص لارتداء الملابس واستبدالها، والقسم الرئيسي من القصر على هيئة صحن أي: فناء مكشوف تحيط به عقود وأروقة فيها أبواب الغرف ومداخلها. وأعمدة الأروقة ذات أوساط منتفخة أي: كأنها ساق الإنسان من دون الركبة والقدم إلا أنها أيضاً مضلعة. فلم يراعوا فيها التناسب والأناقة في الرشاقة، كما نفعل نحن بالأعمدة في الأبنية المهمة.

وفوق هذه الأعمدة عقود هندية أصيلة قد زخرفوها بزخارف من المرمر كثيرة. أما أرض الفناء أو الصحن فإنها مبلطة بالحجارة.

ثم دخلنا غرفة ملابس الملك وفيها الملابس التي كان يلبسها بالفعل

معروضة وأكثرها جباب ـ جمع: جُبّة ـ واسعة مطرزة بطرز من الزري أي: الخيوط المغلفة بالذهب أو الفضة أو مادة معدنية في مثل لونهما. وهي من الجباب المفتوحة من الأمام، وأعلاها في سعة أسفلها فليست ضيقة الأعالي، كما في بعض الجباب الهندية الحاضرة.

ثم ملابس نساء الملك وهي واسعة مثل ملابس الملك، وفيها ثوب ذكرت عند رؤيته ثوباً لجدتي وهو واسع له أكمام واسعة جداً تتدلى إلى الجنبين أو تنسف على الكتفين.

وكذلك في الملابس قمصان معتادة تشبه ما تسميه النساء بالمكسي في الوقت الحاضر، وهناك ملابس على هيئة الساري الهندي الذي نعرفه في الوقت الحاضر وكلها مطرزة بأطرزة من الخيوط الذهبية. وبعضها مطرز بأشياء لامعة كأنها الزجاج الصغير.

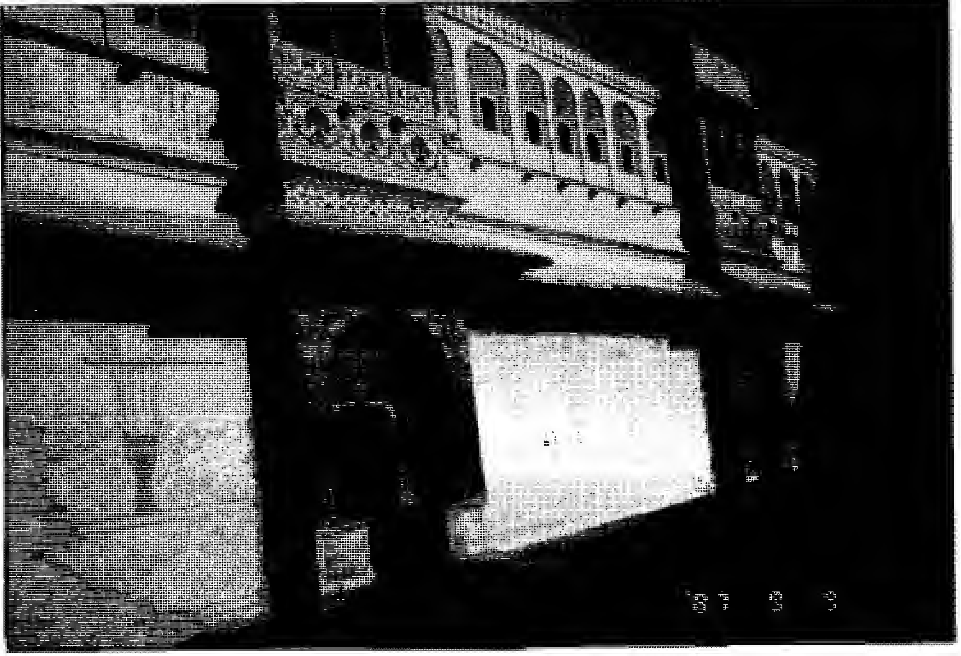
وفي هذه الغرفة ركن للعطور والطيب في مرشات وهي الأوعية التي يرش منها ماء الورد وغيره من العطر كما سبق إلا أنها هنا فاخرة متعددة الألوان، وبجانبها أوانٍ من الزجاج ذكروا أنها تستعمل للشرب.

ومن الأشياء التي استرعت انتباهي أكثر من غيرها مراوح يدوية من الخوص وهي المهاف ـ جمع: مهفة ـ في لغتنا النجدية الدارجة ـ فهذه المراوح اليدوية مطرزة بالجواهر والذهب، وفي أطرافها مايشبه الأزارير الخفيفة المتراصة إلا أنها من القماش لتساعد على تحريك الهواء وتجميل المروحة لأنها ملونة.

غرفة الملكة :

غرفة جلوس الملكة أفردوها بالذكر كما أفردت بالوضع في القصر،

وقد وضعوا تماثيل للملكة تحيط بها وصيفاتها جالسات في وسط الغرفة. وفي غرفتها وما حولها أقمشة أخرى مطرزة بالذهب وبعضها بالفضة.



منظر داخلي للقصر الملكي في جيفور

وبعد ذلك أرونا ركناً للقلانس - جمع: قلنسوة - وهي الطواقي جمع: طاقية، كما تعرف الآن ونوهوا بالكتابة عليها أنها مما يلبسه المسلمون.

هذا والقصر يغص بالسياح الذي أكثرهم من الأوروبيين لكن فيهم نسبة كبيرة من أهل الهند الذين جاؤا من ولايات أخرى وممن يعيشون خارج الهند ووصلوا إلى هنا للسياحة.

مجلس السلطان :

لا بد من الدخول إلى مجلس السلطان مع بوابة كبيرة عليها حرس

وعلى يمين بابها ويساره تمثالان لفيلين أبيضين، وإذا دخل الداخل من البوابة وجد في فناء يليها عدة أوانٍ ضخمة واسعة يبلغ ارتفاعها طول قامة رجل ووظيفتها أن تملأ من الماء من النهر المقدس عند الهنادكة وهو الكنج أو (قانقا) كما يلفظون باسمه.

وكان ماء النهر المقدس عندهم يجلب إلى الملك من مسافات بعيدة عن جيفور بل عن ولاية راجستان كلها.

وقد عرضوا في مجلس الملك الذي كان واسعاً سعة غير معتادة إلا أنه ليس فاخراً بمقدار سعته عرضوا فيه أنواعاً من السيوف ومجموعة من البنادق العتيقة وكل ذلك على الحيطان وقد زينوها بأن جعلوا البنادق على هيئة زهرة مستديرة الشكل، والسيوف على شكل عسيب النخلة ولكنها ليست فاخرة ولا قديمة الصنع.

وفي المجلس مائدة كبيرة ظهرها حجر أسود وهو واحد فيما يبدو من شكله، وباقيها من الخشب، وقد رسموا صورة للملك ورجاله يحملونه على أكتافهم وذلك مثلما كان يفعل الملوك والكبراء في الهند والصين حيث كانوا ينتقلون بل ويسافرون في محفات محمولة على أعناق الرجال لئلا يتعبهم المشي على أقدامهم.

ويقع مجلس الملك في ركن من فناء يسكنه مع نسائه فيه قسم مخصص لرقص النساء مبلطة أرضه بالحجارة يرقصن فيه بحيث يراهن الملك وهو جالس في مجلسه.

وفي مجلس السلطان وما جاوره عدة مداخل عليها أبواب لكل باب منها لون خاص وسقوف الأبواب من الرخام والحجارة الملونة.

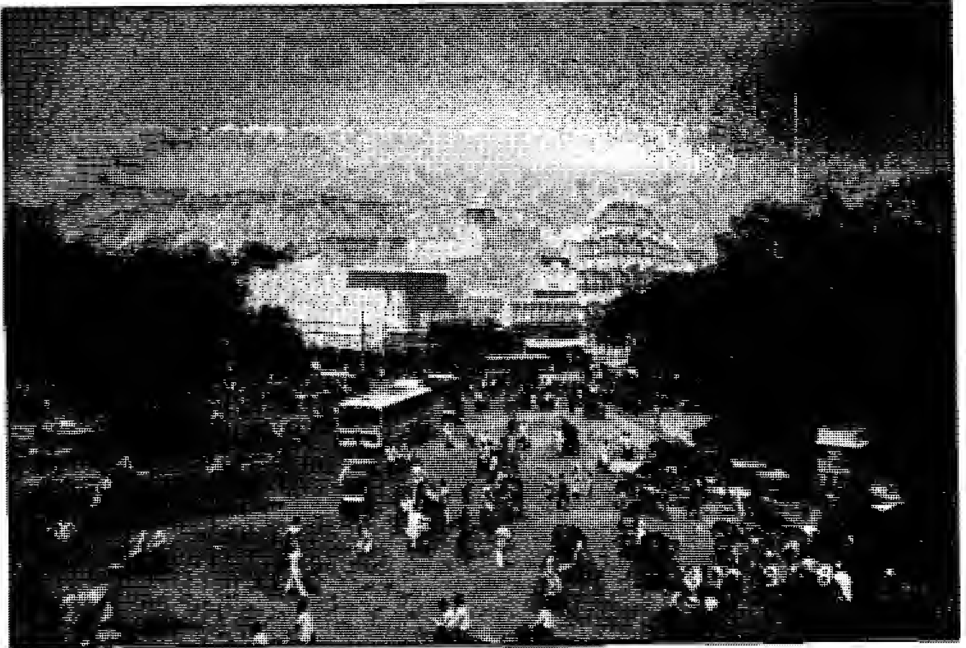
ثم مجلس للملك آخر أسموه المجلس العام فيه عدة لوحات كبيرة وسجاد قديم ثمين قد رفعوه فجللوا به بعض الحيطان.

وفي هذا المجلس ركن فيه مخطوطات ورسائل وكتب بعضها مكتوب بماء الذهب. وفي هذا الركن عرضوا مخطوطات عربية في الفقه والحديث ومخطوطات باللغة السنسكربتية التي هي الهندية القديمة. وأخرى بالفارسية والبنغالية.

ثم عادت معروضات الأسلحة غير الفاخرة في هذا القصر أيضاً ومنها رمح طويل في رأسه قلة محددة الطرف، وسيوف مذهبة.

هوا محل :

وكلمة (محل) لها هنا قيمة كبيرة إذ دخلت في عدة أسماء مهمة ومن ذلك حائط ضخم واقع بجانب القصر ولكنه منفصل عنه ويقع الجانب



قصر الهواء (هوا محل) في الشارع الكبير (برئي جوير) وسط مدينة جيفور

الخارجي منه الآن على سوق للبيع والشراء واسم ذلك الحائط (هوا محل) أي: محل الهواء وهو أشبه بالحائط الغليظ العالي وفيه نوافذ كلها رمزية إذ قصد منه التجميل وملء الفراغ وإلا فإنه لا يجلس فيه وأسموه (محل الهواء) هكذا بالعربية وهو مما دخل في الأوردية منها لأنه لا يعدم هواء يدخل في نوافذه من أية جهة، وقال لي بعضهم: إنه سمي بذلك لكونه واقفاً في الهواء.

وعلى أية حال فإنني لم أفهم المعنى الذي يرمز إليه، إن كان يرمز إلى معنى عندهم عميق وإلا فإنه لمجرد الهواء ولفت الأنظار كما قدمت.

بلاد الجبال والرمال والجمال:

والجمال هنا هي بكسر الجيم ـ جمع: جَمَل ـ وهو الذكر من الإبل. كنت سمعت من أحد العلماء الذين اجتمعت بهم في مدرسة (فيض التبليغ) قوله: إن في بلدتنا جيفور هذه ما في مكة المكرمة: الجبال والرمال والجمال.

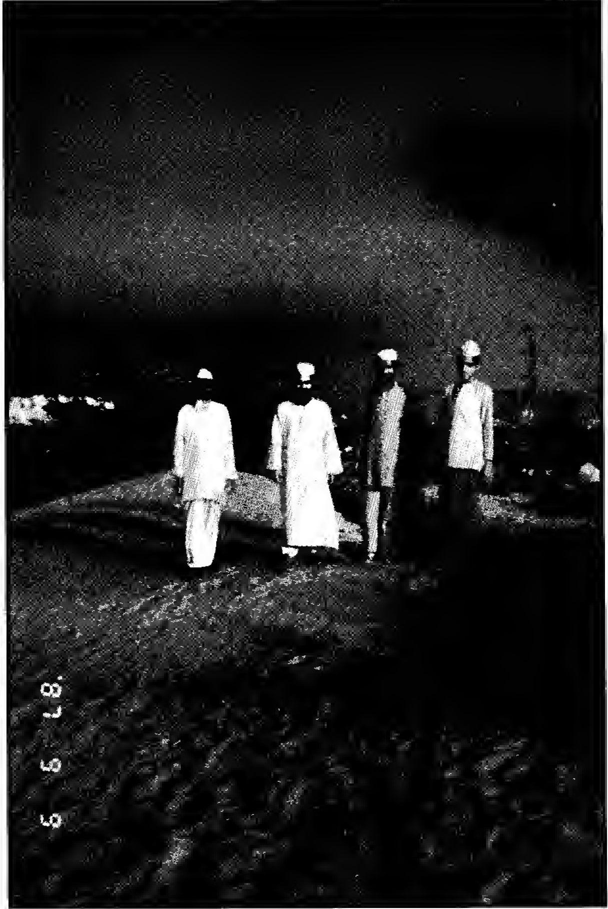
فقلت: أما الجبال والجمال فإنني رأيتها في السوق، بل في كل مكان من المدينة فأينما تطلع المرء من مدينة (جيفور) هذه فإنه يرى الجبال الصحراوية الجرداء تطالعه وتحيط بالمدينة وإن كانت لا تحاصرها.

وأما الجمال فإنها أيضاً موجودة بكثرة حتى في الأسواق المزدحمة، وبقيت الرمال لم أرها فذكروا أنها في خارج المدينة غير بعيدة.

وفي أصيل هذا اليوم كان لدينا وقت كافٍ للخروج خارج المدينة، ومشاهدة طبيعة أرضها الصحراوية الرملية.

إلى شاه أمان علي:

خرجنا من مدينة (جيفور) مسرعين ولا أدري إلى أين نحن ذاهبون إلا أن ذلك لرؤية الصحراء القريبة من المدينة.



الرمال عليها المرافقون خارج جيفور

ثم خرجنا من المدينة كلها بعد أن اخترقنا ضواحي فيها ممتدة وصرنا في ريف صحراوي فيه بعض المزارع وبعض الشجيرات الصحراوية المخضرة وسط الأعشاب البرية التي أنعشها المطر في هذا الموسم. حتى وصلنا إلى قرية صغيرة تقع بجانبها كثبان رملية حمر تشبه من أوجه كثيرة كثبان الرمل الحمر في منطقة القصيم إلا أن هذه الكثبان الهندية في هذه المنطقة أقل ارتفاعاً وأصغر من الكثبان القصيمية. ولا عجب في ذلك لأن مكانها محصور بين قرية فيها مزارع صغيرة ربما كانت على مياه ارتوازية، وبين بحيرة صغيرة قد تجمعت من مياه وديان سالت بالمطر.

الخنزير في الرمل :

وقفت أتأمل الرمل هذا الأحمر وإذا بي أرى خنزيراً رمادي اللون يتسكع بين شجيرات الرمل فأسرعت أريد تصويره غير أنه كان يبعد عني وكان الإخوة المرافقون ينهونني عن الاقتراب منه لأنه وحشي قد يؤذيني وهكذا بقيت أتابعه ولم يتيسر تصويره حتى أبعد ثم جاء آخر فتابعته أيضاً ولكنه لم يقف إلا عند جدار في القرية فصورته وأنا في غاية العجب من وجود خنزير بين الرمال.



الخنزير الأسود قرب المشهد في راجستان

ومجرد وجوده هنا مما يثير الاستغراب لأن أهل هذه البلاد هم بين هندوكي ومسلم والأكثر هم من الهنادكة، وكلا الطرفين لا يأكل الخنزير. فلمن يكون إذاً؟ ومن الذي يرغب في تربيته؟

أجاب الإخوة المرافقون وكان معي منهم طائفة انضم إليهم اثنان من أهل القرية: إنه خنزير بري من طائفة من الخنازير الوحشية التي لا

يريدها أحد، ولا يرغب في تملكها أحد من المواطنين فالمسلمون لا يأكلون لحم الخنزير والهنادكة لا يأكلون اللحم مطلقاً.

وثن يدعى :

وقد خشيت أن أقول: يعبد فيفهم بعض القراء العبادة على أنها توحيد الربوبية وحده وأن ذلك الوثن لا يعبد بهذا المفهوم.

والواقع أن هذا الأمر صحيح فالذين يأتون إليه رجاء منفعته أو إزالة الضرر بسببه أو للاستغاثة به أو لمجرد البركة منه لا يصرحون بأنهم يتخذونه رباً من دون الله، بل لا يعتقدون ذلك وإنما يذهبون إليه لما ذكرته معتقدين أنه يتحقق لهم ما طلبوه أو يزول عنهم ما حذروه بسبب قرب هذا الشخص من الله.

ولكن هكذا كان الكفار الأولون يقولون: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى. فلم يكونوا كلهم يعبدون الملائكة أو الأولياء لكونهم أرباباً من دون الله فيما يعتقدونه وإنما ليقربوهم إلى الله فلم يكن نافياً للشرك عنهم، لأنه إشراك بتوحيد الألوهية.

ولندع التعليق ولنذكر لك ما شاهدناه: رأيت بناء واسعاً يدخل إليه من بوابة عالية كأنها بوابات المساجد القديمة وعليها لوحة بالأوردية نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، ياالله، ياعلي، ياولي، أفضل الذكر لا إله إلا الله محمد رسول الله، ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون».

ياعلي، دركاه حضور ناظم ولاية على حضرت – يافاطمة - (شاه سيد أمان علي) المعروف وتا أماني، شاه بابا، رحمة الله عليه وفيوض بركاتهم، ياحسن، ياحسين.

ومعنى (دركاه) هنا: مزار، وهي مركبة من كلمتين در بمعنى: باب وكاه بمعنى: محل أو مكان. وناظم ولاية أي: المسئول في الولاية أو المتولي لأمور هذا المزار.

ويلاحظ أن هذا المشهد هو لشخص واحد اسمه (أمان علي) ولقبه (شاه سيد) ومع ذلك استغاث كاتبو اللوحة بعلي وفاطمة وحسن وحسين.

ولقد ركبني أسف عظيم على ما وصلت إليه الحالة العقلية الريفية للمسلمين حتى صاروا يتوجهون باستغاثتهم إلى غير الله. ويعتقدون فيه النفع والضر، وهم في حالة من تدني المكانة، بسبب استيلاء الأكثرية من الهنادكة على مقدرات البلاد وانحسار نفوذ المسلمين وتخلفهم في ميدان التعليم والتجارة نتيجة لذلك.

وسمعت في هذه اللحظات حمامات تنوح على شجرة بجانب هذا المشهد فخيل إليّ أنها تنوح على مجد للإسلام ضاعٍ، وعقيدة للتوحيد شوه نقاؤها في بعض البقاع.

ثم دخلنا مع البوابة الكبيرة هذه فوجدنا بجانبها عدداً من الرجال أكثرهم من المسنين وقيل لي: إنهم ينتظرون ما قد يجود به بعض المحسنين، وبالفعل رأيت رجلا معه لبن أحضره لهؤلاء المقيمين على باب المشهد.

وقام أحدهم وأظنه ملازماً للقبر لإرشادنا إلى داخل المكان حيث أفضى المدخل إلى فناء واسع مكشوف فيه حديقة واسعة ذات أشجار عالية وفي الحديقة ممرات توصل إلى قبر (شاه سيد: أمان علي).

وقد كتبوا قرب القبر إعلاناً بالأوردية عنوانه: (هدايات) أي:

إرشادات منها: اخلع نعليك، وممنوع دخول الحيوان وممنوع التدخين.

ثم رأينا القبر تحت بناء غير فاخر يظلله سقف عالٍ، وتحت السقف مظلة فوق القبر.

وبجانب المدخل صندوق للتبرعات، وحول القبر منفصل عنه قبور عدة قبر فيها من أوصوا أن يدفنوا بجانب قبره التماساً لبركته أو من رأى أهلوهم أن يدفنوا حوله.

وحدثنا سادن القبر والإخوة المرافقون يسمعون، وبعضهم قد سمع شيئاً من أمر هذا الرجل من قبل وإن كانوا لا يقرون البناء على القبر أو التوجه إليه بطلب الإغاثة والدعاء حسبما أخبروني به قال السادن: هذا ولي من أولياء الله ضرب بقرة فغضب الهنادكة لذلك وأرادوا ضربه، ولكنه تحداهم وذهب إلى بقرة ميتة فضربها بقوة مراغمة لهم.

قالوا: لذلك عظمه المسلمون والهنادكة ولما مات بني على قبره هذا المشهد الذي يأتي إليه المسلمون والهنادكة يرجون النفع لهم من زيارته.

هذا وقد رأيت امرأتين من الهنادكة الكفار يزرن قبره التماساً لبركته وكونهما من غير المسلمات أمر ظاهر من لباسهما فيما يعلمه المسلمون الحاضرون من أمرهما.

قال السادن: وهذا الولي له بركات كثيرة حتى إن الأسد يأتي من الجبال والصحراء المجاورة فلا يؤذي أحداً عند قبره.

أما تاريخ وفاته فقد قال السادن: إن ذلك منذ حوالي مائة سنة.

هذا وقد بنوا بجانب قبره من جهة الغرب وهي جهة القبلة مسجداً صغيراً منفصلا عن القبر.

وفي القرية المجاورة لهذا المشهد أشياء كثيرة مما يشاهد في القرى الأصيلة منها بيوت مسنمة السقوف ولكن سقوفها من القش وهي مبنية من الآجر والحجارة لأن هناك جبالاً قريبة من المكان.

ومنها ميزان عياره من الحجارة وليس من الحديد، وصنبور مياه عام وقد أثر في الأرض ما فضل من مائه حتى صار أسود اللون، وعليه أناس يستقون مما يدل على أن بيوت القرية أو بعضها لم تدخلها مياه الشرب، ودجاج سائب بين البيوت.

وفي حواشي القرية مما يلي الصحراء أعشاب برية مزهرة وأشجار خضرة من أشجار العشر الصحراوية.

العود إلى جيفور :

وعدنا إلى جيفور مع طريق غير الذي خرجنا منه فكان مما استرعى انتباهي أعشاب الصحراء المخضرة بسبب الأمطار التي سقطت في موسم المطر، وحمير كثيرة في الصحراء بعضها ترعى في ذلك العشب، وبقر ترعى أيضاً وآبار ارتوازية لعدم وجود أنهار أو ينابيع في المكان.

ثم كثرة طائر الهند المبارك به فيها بمعنى الذي حلت البركة في عدده وليس في الانتفاع به وهو الغراب.

وقد غابت الشمس فصلينا بسرعة ومررنا بالفندق في السابعة والنصف حيث دفعنا لهم أجرة الغرفة (١٥٠) روبية لليلة الواحدة، وتنازلوا لنا عن المدة التي بقينا فيها بعد الظهر من الثانية عشرة إلى السابعة والنصف إكراماً لي من إدارة الفندق.

وكان من مظاهر إكرامهم أن مدير الفندق عندما حضر في صباح

اليـوم الذي تـلا وصولـي إلى الـفنـدق وعرف بـوجودي فـيه صـعد إلــى غرفتي للسلام عليّ والترحيب بي.

والحقيقة أن معاملة أهل الفندق مثـل معاملة باقي أهل البلاد من غير المسلمين هي ودية أو معتادة، وأما المسلمون فإنهم إخوتنا الذين يكرموننا أكثر مما يكرمون أنفسهم فجزاهم الله خيراً.

مأدبة الشيخ المجددي :

ذهبنا إلى بيت الشيخ محمد عبد الرحيم المجددي قرب الثامنة مساءً وهو في منطقة مزدحمة من المدينة ومع ذلك هو كبير واسع سواء في قسم استقبال الضيوف أو في غيره لأنني رأيت فيه مواقف مسقوفة لعدة سيارات.

رحب الشيخ المجددي جزاه الله خيراً وأكثر من الترحيب واعتذر بعدم معرفته بقدومي وإلا لكان عزم عليّ في أن أكون ضيفه في بيته.

وقد شكرته على ذلك وأمضينا فترة من الوقت في الحديث معه عن شؤون الإسلام والمسلمين في هذه الولاية في القديم والحديث.

وحضر المأدبة عدد من وجهاء القوم وطلبة العلم منهم الشيخ محمد خالد الندوي عميد كلية جامعة الهداية والإخوة الذين برفقتي.

وأخبرني ابنه الأستاذ (محمد فضل الرحمن) أنهم اتصلوا بالمطار ليتأكدوا من موعد قيام الطائرة الذي هو في العاشرة إلا خمس دقائق فعلموا أن موعد اقلاعها قد تأخر حتى الحادية عشرة لذا يمكننا أن نمكث في البيت وقتاً أطول.

وكان هذا مدعاة اطمئنان لي فبيت الشيخ نظيف وهو رجل وجيه إذْ هو رجل من رجال العلم والدين بل من كبارهم المشهورين، وهو ذو مكانة عند المسلمين ومن أجل ذلك حصل من التبرعات السخيّة ما مكنه هو ومعاونوه من إقامة البناء الشامخ، بل من إقامة هذه الجامعة الإسلامية التي هي مفخرة للمسلمين في البلاد.

وجاؤا بالطعام هندياً أصيلاً فيه الكثير من الدهن والقليل من الفلفل من

أجلنا نحن ومن أجل بعض الموجودين في المنزل ومع ذلك فإن الفلفل فيه فوق ما يتحمله أمثالي.

وقد أمعنت في الأكل لثقتي بنظافة الطعام ونظافة الآنية، بل كل شيء نظيف في البيت وكنت أمضيت عدة أيام لم أشبع من الطعام لأنني لم أجد طعاماً أطمئن إليه، فأكلت من طعام هذا الشيخ الجليل ما عوضني عما كنت أعانيه من عدم الكفاية من الطعام رغم كون جيبي كان مليئاً بالنقود ولله الحمد.

قبل وداع جيفور :

ودعت الشيخ الجليل محمد عبد الرحيم الندوي والإخوة الموجودين في المجلس وأبى إلا أن يصحبني ابنه وبعض أتباعه بعد أن امتنعت عن أن يصحبني بنفسه إلى المطار وذلك بسيارة لهم أخرى صغيرة مريحة.

ولكنني لن أودع الحديث عن الشيخ المجددي فقد رأيت أن أنقل هنا كلمة في التعريف به للعلامة الجليل الداعية المخلص السيد أبي الحسن علي الندوي، وذلك من باب الشكر له والتشجيع لغيره ممن يعملون مثل عمله.

قال الشيخ أبو الحسن الندوي حفظه الله:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد وآله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فقد كان لي شرف التعرف على المربي الجليل الشيخ محمد

عبدالرحيم ابن ألطاف علي بن الشيخ الجليل هدايت علي المجددي الجيبوري، فوجدت فيه عالماً عاملاً نشيطاً مجتهداً، واسع الأفق، رحب الصدر في فهم القضايا الدينية ومتطلبات العصر، جامع الشمل لمختلف الطبقات والأوساط، لايتحيز إلى فئة من الفئات ولا يتعصب لمنهج من مناهج التفكير، يعرف لكل ذي فضل فضله، ويستفيد من كل ذي موهبة في موهبته.

وقد حداه هذا التفتح العقلي وسعة الصدر والنظر إلى تأسيس مدرسة دينية جامعة تجمع بين الدراسات الإسلامية العلمية وبين التعليم المهني للاكتفاء الذاتي ولما كان الشيخ المشار إليه يتمتع باحترام عدد كبير من أصحاب الشعور الديني وأهل اليسار والمقدرة، وبثقتهم وتقديرهم، استطاع أن يضع أساس هذه المدرسة التي هي نواة جامعة كبيرة في المستقبل إن شاء الله، وأراد أن يكرمني بالمساهمة في هذا العمل الجليل، فدعاني لإرساء الحجر الأساسي لهذه الجامعة وذلك في ٢٢ شوال عام ١٣٩٦هـ الموافق ١٧ أكتوبر ١٩٧٦م، فلبيت دعوته الكريمة اعترافاً مني بجهوده وعلو همته وحرصاً مني على أن يكون لي نصيب ضئيل في هذا العمل العملاق الكبير، وكان يوماً مشهوداً كيوم العيد في مدينة جيبور، تقاطر الناس من كل صوب لحضور هذا الاحتفال الحاشد، وكان ذلك شهادة لحبهم له، واعتمادهم عليه في النصح والإخلاص وإقامة ما ينفعهم في الدين والدنيا، وكان منظراً مؤثراً في النفوس والقلوب لا ينساه من حضره إلى زمن بعيد.

وقد كان من سمات علماء الهند البارزة، ومما أكرمهم الله به ووفقهم له، هو الابتعاد عن الوظائف الرسمية والمناصب الحكومية خصوصاً

بعد استقرار الحكم الإنجليزي في شبه القارة الهندية، وبعد ما أصبح المتخرجون من الكليات والجامعات المدنية عبئاً على الوظائف والرواتب، لا يتصورون الحياة الكريمة والرزق الدار إلا عن طريق الدخول في الجهاز الإداري الحكومي والانخراط في سلك الموظفين في المكاتب والدوائر الرسمية.

وقد كان ذلك عاملاً قوياً في احتفاظهم بشخصيتهم الإسلامية المثالية، وحافزاً قوياً على الاشتغال بالدعوة، والاتصال بالشعب اتصالاً مباشراً، وثقته بهم واحترامهم له، وبعد المعاهد الدينية عن النفوذ الرسمي، والخضوع لمناهجه التربوية، وذلك بفضل تربيتهم الروحية وشخصيتهم القوية.

وقد تغيرت الأوضاع والظروف، فاحتاج ذلك إلى سند وتدعيم يتلاءمان مع روح العصر ومقتضياتهم، ففكر بعض قادة الفكر ورجال التربية أن يهيؤا للدارسين في المعاهد الدينية أسباب تعلم الصناعات المعترف بها رسمياً، والمهن الشريفة فيكتفوا بذلك عن الاعتماد على الوظائف والتزلف لدى الحكومات، وقد كان ذلك شعاراً لكثير من أئمة الإسلام وكبار العلماء والفقهاء، فاشتهر بعضهم بالبزاز، وبعضهم بالجصاص وبعضهم القدوري، وبعضهم بالحلوائي وما إلى ذلك، وكان في مقدمة من فكر في ذلك المربي الكبير فضيلة الشيخ محمد عبد الرحيم المجددي منشىء جامعة الهداية، فنظر إلى هذه الناحية بعين الاعتبار وخصص له جزءاً في منهج التعليم والتربية في جامعة

الهداية، ومخططاتها.

بارك الله في حياته وأجرى على يده الخير الكثير وحقق مايريده، ويهدفه من المشاريع العظيمة والمخططات الكبيرة..

والله ولي التوفيق.

(أبو الحسن علي الحسني الندوي)

٤ من شعبان ١٤٠١هـ

وهذه شهادة رسمية لجامعة الهداية:

شهـــــــادة

إن جامعة الهداية مؤسسة وقف تعليمية. وقد تم تسجيلها في مجلس الأوقاف الإسلامية بحكومة ولاية «راجستان» وأصدرت مصلحة ضريبة الدخل لحكومة الهند تصريحاً لاستثناء هذه المؤسسة من الضرائب على المساهمات المالية التي تحصل عليها.

وقد تولت هذه المؤسسة إنجاز مشروع إنشائي ضخم لمباني جامعة الهداية بملحقاتها في قرية «مان بور سروا» في ضواحي المدينة الوردية «جيبور» في مساحة شاسعة من الأراضي. وأعد تصميمات المشروع الإنشائي المخططون والمقاولون للبناء المستر خان محمد أحمد الله والمستر مقبول الهي دلهي المعروفين. وتبلغ التقديرات لتكاليف البناء ١٦٠ مليون روبية. وتهدف المؤسسة إلى تهيئة فرص الدراسات العليا في العلوم الإسلامية واللغة العربية بجانب التعليم التقني للطلبة القاصدين إليها.

وقد قمت شخصياً بزيارة موضع البنايات المقترحة. وأعجبت جداً بسير الأعمال والتكريس، والإخلاص الذي يعمل به لإنجاز المشروع المسؤولون عن الوقف وخاصة سماحة الشيخ محمد عبد الرحيم المجددي، وهو أيضاً مؤسس الوقف. وستكون هذه الجامعة بعد إكمالها مصدر خير كبير لمسلمي العالم بصفة خاصة وللإنسانية بصفة عامة. وإني أتمنى شخصياً أن تكلل هذه الجهود بالنجاح والتوفيق، وتصل إلى مرحلة الإنجاز النهائي والكمال.

أ.ر. تشودري

نائب الوزير. راجستان

الحبس في المطار:

أنهى الإخوة المرافقون جزاهم الله خيراً كل الإجراءات المتعلقة بالسفر وجلسوا معي في انتظار أن تقوم الطائرة إلا أنني عزمت عليهم أن يرجعوا إلى المدينة، وبقيت وحدي مع سائر الركاب في انتظار الصعود للطائرة التي سوف نسافر عليها من جيفور إلى (دلهي) عاصمة الهند.

وبعد انتظار طال نادوا علينا، والمطار صغير فقسمونا إلى عدة مجموعات مع أننا بعض ركاب طائرة نفاثة تعتبر صغيرة وهي بوينغ ٧٣٧ وهي قادمة بركاب عليها من أحمد آباد فصاروا يأخذون كل ثلاثة أو أربعة معاً يدخلونهم إلى قاعة المغادرة ويفتشون الراكب تفتيشاً آلياً وتفتيشاً يدوياً.

ثم خرجنا للطائرة فكان أن وجدنا أمتعة الركاب كلها تحت الطائرة ويجب على كل شخص أن يتعرف على متاعه فيضعون عليه إشارة ويحمله الحمالون إلى الطائرة.

وعند الدخول إلى الطائرة كان هناك أيضاً تفتيش يدوي وآلي للركاب، وكل هذا الاحتياط هو من أجل الأمن.

وليس ذلك فحسب، وإنما وقف عند الطائرة من كل جهة حراس مسلحون، وكانوا يحيطون بالطائرة من أول وصولها إلى المطار.

كان دخولنا الطائرة عند الحادية عشرة، وبقينا فيها حتى الثانية عشرة والثلث في انتظار أن تقلع ولكنهم ذكروا أن فيها ما يستدعي التريث لإصلاحه.

وفي الثانية عشرة والثلث أعادونا إلى قاعة المغادرة بالمطار بعد أن

أعطونا بطاقات العابرين دلالة على أننا قد جزنا نطاق التفتيش مع أنني لم أر في مطارهم في هذه الساعة من الليل أية طائرة أخرى غير طائرتنا.

وكان عوداً غير مريح إلى تلك القاعة التي كنا مللنا الجلوس فيها لأن مقاعدها من اللدائن الملساء المرتفعة التي ينزلق جسم الجالس عليها إلا إذا واصل الاتكاء عليها. وكان الحر داخلها شديداً.

والمقصف مغلق فلا يستطيع المرء أن يشتري ما يشربه. وقد أخبرونا بأن الكوابح (الفرامل) في الطائرة فيها خراب، وأن هذا هو سبب التأخير، وهذا ليس إعلاناً فلم يعلنوا ولا مرة واحدة عن سبب التأخير إنما هو كلام منهم لبعض الركاب، ولاحظت أن بعض الناس من أهل البلاد غادروا القاعة بعد أن تفاهموا مع الموظفين وهم طائفة من أهل مدينة جيفور الذين عادوا ليناموا في بيوتهم.

والأكثر مشقة أنهم لم يعلنوا أي شيء حتى عن الموعد التقريبي المتوقع لقيام الطائرة أو عن وصول الآلة المطلوبة من العاصمة دلهي التي لا تبعد عن جيفور إلا بمسافة نصف ساعة للطائرة.

العودة إلى جيفور:

ألح النعاس والتعب والحر على الركاب لذلك عندما عرض عليهم موظفو الشركة في الساعة الثانية بعد منتصف الليل الخيار في أن ينقلوهم إلى فندق في مدينة جيفور وفي الصباح تكون الطائرة قد أصلحت ويسافرون بها إلى دلهي. أو أن ينقلوا من يريدون بسيارات أجرة من المطار هذا إلى مدينة دلهي والمسافة بينهما تبلغ ما يزيد على ثلثمائة وعشرين كيلو متراً بقليل، واخترت مع كثير من الركاب النزول

في الفندق حتى الصباح على السفر بالسيارات إلى دلهي، لأن هذه المسافة تحتاج إلى ست ساعات على الأقل في الطرق الهندية الرديئة التي أعرفها حق المعرفة إضافة إلى المخاطرة بالسفر في آخر الليل.

ولأنني سوف أسافر بعد دلهي إلى (سرنقر) عاصمة ولاية كشمير فاحتاج إلى شيء من الراحة قبل الوصول إلى دلهي.

وأنزلونا في فندق كبير جديد من فنادق الدرجة الأولى اسمه (جاي محل بالاس) في المدينة وقد لبثت الحافلة وقتاً وهي تسير حتى وصلته وذلك في الثالثة إلا الثلث من قبل الفجر، وأخلدت بسرعة إلى النوم .

يوم الخميس ١٠/٩/١٩٨٧م

صحوت على رنين الهاتف في غرفتي وموظف الفندق يقول: ينبغي أن تكونوا بعد ربع ساعة في مكتب الإستقبال، وكان ذلك في الثامنة والنصف.

وقد تجمعنا في مكتب الاستقبال فأخبرونا أن الخروج للمطار سيكون في التاسعة ولم يقدموا شيئاً للركاب في الصباح حتى ولا فنجاناً من القهوة فضلاً عن الإفطار.

وعدنا إلى ركوب الحافلة ولكن لم نشعر بطول الطريق ما بين المدينة والمطار في هذا النهار الذي نبصر فيه ما حولنا.

فمرت الحافلة أول الأمر بأبنية متعددة الطوابق (عمارات) جيدة المظهر، نظيفة المنظر، ثم بيوت منفردة جيدة في بعضها حدائق نضرة.

وبعدها مررنا بمحلة للفقراء بيوتها لا تليق بالحيوان سقوفها من الخيش البالي وورق مقوى (كرتون) مما يلقى في القمامة في غير هذه البلاد. والبيوت نفسها حيطانها من الصفيح المتكسر الردىء.

من جيفور إلى دلهي :

دخلنا الطائرة في العاشرة والنصف ومررنا بالتفتيش اليدوي والآلي المعتاد، وكان الحارس المدجج بالسلاح عند الطائرة.

فغادرت جيفور إلى (دلهي) في الحادية عشرة ضحى. وقد بلغ تأخرها عن موعد قيامها في الأصل الذي كانوا قد وضعوه على تذكرتي ثلاث عشرة ساعة.

وشاهدت المنطقة من الطائرة في هذا الضحى حيث لم أكن قد

استطعت مشاهدتها في الليل عندما قدمت إلى جيفور وإذا بها مناطق معمورة إلا أن هناك في الريف عدة مربعات تبدو خالية من الزراعة وذلك بسبب المحل وجفاف التربة.

ومع ذلك رأيت عدة تلال على ظهورها منازل منفردة كبيرة لذوي الشأن من الأغنياء بنوها في متون هذه التلال هرباً من الحر في الصيف.

وظهر نهر جاف المجرى بعيد من المدينة، ثم ارتفعت فحال ضباب أو مايشبهه دون تبين رؤية الأرض أما السحاب فإننا لم نر سحاباً ولا حتى شيئاً من الغيم منذ وصولي إلى جيفور حتى مغادرتها.

ثم بدأت الطائرة بالتدني تمهيداً للنزول في مطار دلهي، ولا يزال منظر المحل وجفاف الأرض هو السائد، وأكثر ما يراه المرء من الطائرة في هذا الريف هو التجمعات السكانية أو القرى الصغيرة.

وظهرت المنازل من ضواحي العاصمة (دلهي) جيدة المظهر وأكثرها دارات (فيلات) حولها حدائق، ومناطق فيها أبنية حديثة متعددة الطوابق. ثم رأينا محلة بيوتها من الصفيح.

ونزلت الطائرة في المدرج في الحادية عشرة والدقيقة السابعة والعشرين فكانت مدة الطيران (٢٧) دقيقة فقط.

وبعد النزول في دلهي بساعتين ونصف سافرت إلى (سرنقر) عاصمة ولاية جامو وكشمير للاشتراك في مؤتمر أهل الحديث الذي سيقيمونه هناك ووجهوا دعوة ملحة لي بالحضور والمشاركة. والحديث عنه في كتاب: «المؤتمرات الإسلامية»، وأما الحديث عن كشمير نفسها ففي كتاب: «سياحة في كشمير» ولله الحمد.

خاتمة

نود أن نضع أمام القارىء الكريم في ختام هذا الكتاب ترجمة لتقرير صدر حديثاً وحصلنا عليه من الهند يوضح حال الأحزاب والجماعات المتعصبة من الهنادكة التي نشأت حديثاً، وأخذت تشن حرباً إعلامية ضد الإسلام والمسلمين في الهند. كما صارت تدرب المنضمين إليها، والمتعاطفين معها على الأعمال الحربية التي في مقدمتها كيفية إلحاق الأذى بالمسلمين أثناء الاضطرابات الطائفية، بل كيفية استفزاز المسلمين، وجرهم إلى الاضطرابات زاعمة أن المسلمين غرباء على البلاد، وأنهم كانوا يقتلون الهنادك ويخربون معابدهم.

وقد تناست تلك الجماعات أن المسلمين قد حكموا الهند قروناً طويلة ولو كانوا يريدون القضاء على الهنادكة لقضوا فيها عليهم من دون أن يتحرك أحد، أو حتى من دون أن يعلم أحد من قادة الدول في تلك العصور، لأن القضاء على المخاصمين والمباينين في الدين كان هو الطابع السائد على العلاقات بين الطوائف في تلك الأوقات. إضافة إلى عدم وجود أحد يستطيع أن يقف في وجه ما يريد المسلمون أن ينفذوه حتى لو علموا، لما كان للمسلمين من قوة ومنعة، وما كان عليه أعداؤهم والمخالفون لهم في الدين من ضعف وهوان، وحتى كان بإمكان الحكام من المسلمين في الهند أن يحملوا طوائف كبيرة من الهنادكة على اعتناق الدين الإسلامي بالقوة لو أرادوا.

ومع ذلك بقيت الغلبة العددية والكثرة الكاثرة للهنادكة في الهند رغم

استمرار الحكم الإسلامي في بعض الأماكن في الهند لمدة سبعمائة سنة.

وهذا التقرير الذي نلحقه بهذا الكتاب يصلح أن يلحق بأي كتاب من هذه الرحلات الهندية ولا سيما بالكتب التي تتحدث عن الولايات التي وقعت فيها الاعتداءات على المسلمين من الهنادكة. ولكننا آثرنا إثباته هنا لإطلاع الإخوة المسلمين في بلادنا والبلدان الإسلامية الأخرى على هذه المشاعر والمساعي الشريرة ضدهم، رغم ما كانوا قدموه للهند وأهلها في القديم والحديث.

وقد بلغ التعصب ببعض هذه الجماعات حداً جعلها تنفي عن المسلمين كل مأثرة لهم، بل تحيل مآثرهم ومفاخرهم إلى عيوب ونقائص.

ولا شك في أن المؤرخين المنصفين وبخاصة من الهنادكة أنفسهم يعرفون بطلان ذلك حتى اعترف بعض زعماء الهنادكة مثل (جواهر لال نهرو) أول رئيس وزراء للهند بعد الاستقلال أن الهند لم تعرف المساواة بين البشر، ولا معنى للأخوة الإنسانية إلا بعد الفتح الإسلامي.

تقرير عن
منظمة راشتريا سيواسنج
وغيرها من المنظمات الهندوكية المتعصبة

منظمة راشتريا سيواسنج (R. S.S.)

إن تدمير المسجد البابري الذي حدث في السادس من كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٢م في أيودهيا (Ayodhya) في أوترا براديش (Uttar Pra-desh) قد تم من قبل أربع منظمات هندوسية متطرفة وهي فيشوا هندوبارشاد Vishwa Hindu Parishad "V H P" وراشتريا سيواسنج (R.S.S.) وشيف سينا Shiv sena وبجرانجدال Bajrangdal . وقد حصلت هذه المنظمات المتطرفة على المساعدة والدعم والتأييد من (BJP) الحزب السياسي الهندوسي المتطرف في (الهند) والذي يتطلع إلى الاستيلاء على السلطة. إن هذا الحزب يزداد قوة يوماً بعد يوم بسبب جهود ومساعي هذه المنظمات المتطرفة فقط. قد كانت حكومة حزب (BJP) في أوترا براديش (U.P.) هي المسؤولة عن تمهيد الطريق لهذه المنظمات المتطرفة من أجل تدمير المسجد وفي الواقع أن منظمة (R. S. S.) على علاقة قوية بحزب (BJP) ومعظم أعضاء هذا الحزب هم أعضاء في منظمة (R.S.S.). وكانت منظمة (R.S.S.) قد لعبت دوراً هاماً في تدمير المسجد.

الأصل والأيديولوجية :

تم تأسيس منظمة راشتريا سيواسنج (R.S.S.) في نجبور (Nagpur) مهراشترا (Maharashtra) في ١٩٢٥م من قبل هندوسي شيوعي هو الدكتور ك. ب. هيدجيور (K.B. Hedgewar). وكان شعاره الأساسي «الهندوسية هي القومية». وهي تدعو نفسها بأنها منظمة ثقافية.

وفي الواقع أن السبب المباشر في تأسيسها رد الفعل القومي ضد المسلمين في (الهند) ومعارضة سياسة مهاتما غاندي في ايجاد الوحدة بين الطوائف المختلفة الموجودة في (الهند). وتصف إحدى الصحف الرسمية أصل هذه المنظمة بقولها أن حركة الامتناع عن التعاون الغاندية قد جرأت المسلمين الهنود. «لقد أثبتوا أنهم مسلمين أولا قبل أن يكونوا هنوداً بحيث أنه عندما توقفت قضية الخلافة (Khilafat) في (تركيا) قاموا بالانسحاب من حركة التحالف للاستقلال الوطني. لقد كانت البيئة بأكملها تتسم بالتعصب الإسلامي. كانت كلمة الله أكبر تتردد في كل مكان بدلا من كلمة بهراتماتا - كي - جاي (Bharatmata - Ki - Jai). وعلى ذلك قرر كل من الدكتور هدجيوار (Hedgewar) والدكتور ب. س. مونجي (B. S. Moonje) والدكتور ل. ف. برانجب (L. V. Paranj-pe) والدكتور ثولكار (Tholkar) وبباراس سفاركر (Babaras Savarkar) قرروا تأسيس منظمة من أجل الهندوس تهدف فقط إلى تنظيم الشباب الهندوسي على أساس المزايا الشخصية والحب الخالص لأرض الوطن» وجميع أولئك الأشخاص هم قادة هندوس متعصبون ومعادون للمسلمين.

وجميعهم كانوا أعضاء في هندو مها سابها (Hindu Mahasabha) وهي

منظمة هندوسية أخرى كان قد تم إنشاؤها من أجل حماية حقوق الطائفة الهندوسية في (الهند).

النشاط المعادي للمسلمين :

في ١٩٢٧م بدأت منظمة راشتريا سيواسنج (R.S.S.) إقامة معسكر تدريبي لمدة شهرين للشباب الهندوس. وكان يتم تدريبهم على استخدام لاتي (Lathi) والسيف والخنجر وغيرها من الأسلحة. كما كان يتم أيضاً إلقاء المحاضرات من أجل أن تبث فيهم أفكار القومية الهندوسية وعدم جدوى الأفكار الغاندية. وقاموا بالتركيز على عدم ولاء المسلمين للأمة الهندية ولغير المسلمين وفي نفس العام كان هنالك شغب جماعي في نجبور (Nagpur) والذين تم تحريكهم من قبل منظمة راشتريا سيواسنج (R.S.S.). ومن ثم أصبحت الاضطرابات الجماعية عملا روتينياً وحتى عام ١٩٥٠م كانت منظمة راشتريا سيواسنج (R.S.S.) تدار من قبل الدكتور هيجور (Hegewar) الذي سلمها إلى جورو مادوراو جولو الكر (Guru Madhorao Golwalkar) كرئيس لمنظمة راشتريا سيواسنغ (R.S.S.) .

وقد واصل جولوالكر (Golwalkar) السياسة المعادية للمسلمين وقد صرح علناً:

> «إن المسلمين هم أعداء الهندوس. وهم ضفادع طينية مؤذية. وهل يكون من الحيطة أن نتعامل مع أبناء الضفادع الطينية، بالرغم من مظهرهم غير المؤذي أو البرىء، على أنهم أي شيء إلا على أنهم ضفادع طينية أو أفاعي؟ إن هؤلاء المسلمين الشباب هم بمثابة أبناء الأفاعي الذين سوف ينفثون سمومهم عندما يكونون قادرين على ذلك».

إن الموقف المعادي للمسلمين من منظمة راشتريا سيواسنج (R.S.S.) يتضح في صفحات «مجموعة أفكار» (Bunch of Thoughts) الذي كتبه جولوالكر(Golwalkar). في الحقيقة أن جولوالكر لديه مفهومه الخاص عن القومية والذي يعتبر معاكساً للمثل والأفكار التي تستلهم الكفاح الحر والموجودة في الدستور الهندي بعد الاستقلال.

وبالنسبة له فإن الهندوس قد أصبحوا كل شيء ومنتهى كل شيء ومن هنا انطلق جولوالكر من أجل تحويل هذه الفكرة إلى مفهوم سياسي:

في مفهوم جولوالكر عن القومية لا يوجد مكان لأي طائفة سوى الهندوس وهو يقول (أن حقيقة الولادة والنشأة في أرض معينة، دونما نموذج ذهني مطابق، لا يعطي الشخص حق القومية على الاطلاق في تلك الأرض) ويقول (في أرضنا هذه بهارات (Bharat) فإن الحياة القومية هي للشعب الهندوسي. وباختصار هذه هي الأمة الهندوسية).

ويضيف قائلا: تاريخياً تعتبر هذه الأرض هندو راشترا (Hindu Rash-tra) منذ العصور القديمة. وعلى ذلك فإن حرية أرض بهارات هي حرية هندو راشترا. وازدهار بهارات يعني هندو راشترا في العالم ككيان مسؤول».

- وقد أراد أن يجعل الناس يعتقدون بأن المسلمين في (الهند) من المشتبه كثيراً أنهم عملاء لباكستان: «هنالك علامات مؤكدة بأنه سوف يحدث قريباً انفجار للوضع مشابه لما حدث في (١٩٤٦ - ١٩٤٧)، ولا يعرف متى سوف يحدث هذا الانفجار. ومن دلهي إلى رامبور (Rampur) ولوكنو (Lucknow) يقوم المسلمون بالتخطيط لاضطرابات

خطيرة. حيث قاموا بتكديس الأسلحة وتعبئة الرجال وربما ينتظرون الوقت للانطلاق عندما تقرر ذلك (باكستان) من أجل النزاع المسلح في بلادنا. وعندما يقومون بذلك فإنه من المحتمل جداً أنه حتى (دلهي) سوف تدمر تماماً ما لم ننهض في الوقت المناسب لقمع الشر في مهده».

وأضاف عبارة أكثر شمولا عندما قال بأنه «في الحقيقة أنه في جميع أنحاء البلاد حيثما يوجد مسجد أو محله، يشعر المسلمون بأن ذلك المكان يصبح أرضهم المستقلة. وفي داخل البلاد هنالك عدد كبير من الجيوب الإسلامية أي عدد كبير من النسخ المصغرة للباكستانيين ومثل هذه الجيوب قد أصبحت مراكز لشبكة منتشرة من العناصر الموالية للباكستان في هذه الأرض». وتتلخص النظرة الإجمالية لمنظمة راشتريا سيواسنج (.R.S.S) في:

أ - إدخالهم في أذهان الناس فكرة الأفضلية للهندوس.

ب - إثارة الشكوك حول الأقليات.

جـ - إثارة النزاعات الطائفية في مرافق الدولة خصوصاً في الجيش.

د - الإعداد من أجل إثارة الاضطراب في وضع القانون والنظام.

وفيما يلي قائمة بـ (٢٢) موضوعاً شائعاً للدعاية التي تقوم بها منظمة راشتريا سيواسنج (R.S.S) :

١ - التنديد بالدين والعادات والتقاليد للطوائف الأخرى.

٢ - اتهام المسلمين، باستثناءات قليلة، بأنهم غير وطنيين وبأنهم يضمرون الولاء - الخارج على قانون البلاد - لباكستان.

٣ - ترضية المسلمين من قبل حكومة الكونغرس بنية تأمين أصواتهم عن

طريق تأييد ما يسمى بمطالبهم غير المعقولة بالانتقاص من حقوق الهندوس.

٤ ـ الفظائع التي ارتكبها المسلمون عندما تم التقسيم في ذلك البلد.

٥ ـ الفظائع التي ارتكبها الباكستانيون ضد الهندوس المقيمين في ذلك البلد.

٦ ـ تدمير وانتهاك حرمة المعابد الهندوسية وأصنام الآلهة الهندوسية من قبل الحكام المسلمين في الماضي.

٧ ـ قيام الحكام المسلمين باجبار الهندوس على اعتناق الإسلام.

٨ ـ الإدعاء بأنه لولا وجود (إلههم شيفا) لكان جميع الهندوس قد تحولوا رغماً عنهم إلى الإسلام.

٩ ـ وعظ المسلمين نظراً لأنهم كانوا قد تحولوا من الهندوسية إلى الإسلام بأنه ينبغي عليهم العودة إلى حظيرة الهندوس.

١٠ ـ اتهام المسلمين لوحدهم بأنهم مسؤولون عن جميع الاضطرابات التي حدثت في البلاد.

١١ ـ اتهام المسلمين بأنهم قد ذبحوا بقرة علناً.

١٢ ـ اتهام المسلمين بانتهاك حرمة وإهانة المعابد الهندوسية أو أصنام الآلهة الهندوسية.

١٣ ـ اتهام أحد المسلمين باختطاف فتاة هندوسية والاعتداء عليها.

١٤ ـ الدعوة إلى ترحيل جميع المسلمين إلى (باكستان).

١٥ ـ الإدعاء بأن (الهند) هي أرض الهندوس لوحدهم.

١٦ ـ الدعوة إلى تهنيد المسلمين، أي: تحويل المسلمين إلى هندوس.

١٧ ـ وعظ الهندوس من أجل الوحدة والصمود لمحاربة الخطر الإسلامي.

١٨ ـ اتهام بعض المسلمين برفع شعارات موالية (للباكستان).

١٩ ـ الثناء على بسالة وشجاعة الهندوس في القرى والمدن التي حدثت فيها الاضطرابات والتي عانى فيها المسلمون كثيراً.

٢٠ ـ أن الأغلبية الهندوسية سوف تسحق الأقلية المسلمة وسوف تستأصل دينها ولغتها وثقافتها.

٢١ ـ الاتهام بأنه نظراً لكون المسلمين أقلية فإنه لا يحق لهم المعاملة بأمانة في (الهند).

٢٢ ـ الاتهام بأنه نظراً لأن الهندوس أغلبية فإن جميع الحكومات في (الهند) هي حكومات هندوسية وسوف لن تحمي الأقلية المسلمة من التعرض لقمع الهندوس.

إن منظمة راشتريا سيواسنج (.R.S.S) تقوم بالأعمال التالية حتى الآن نظراً لتوهم حدوث أعمال الشغب:

أ ـ بث المشاعر المشتركة في أغلبية الجماعة عن طريق الدعاية بأن المسلمين خائنون للأمة.

ب ـ تعميق المخاوف لدى الأغلبية والتلاعب بعقدة الخوف لديهم.

جـ ـ التسرب داخل الحكومة واستمالة أعضاء الخدمة المدنية والشرطة والجيش لتبني الموقف الطائفي.

د ـ تدريب الشباب على استخدام بعض الأسلحة مثل الخنجر والسيف والرمح.

هـ ـ نشر الشائعات من أجل توسيع الانشقاق الطائفي وإعطاء أي حادثة أو حركة الطابع الطائفي.

وقد كانت منظمة راشتريا سيواسنج (R.S.S.) في مقدمة المنظمين لأعمال الشغب الطائفي في (الهند).

بعد مقتل مهاتما غاندي، فرضت الحكومة حظراً على منظمة راشتريا سيواسنج (R.S.S.) وتم إلقاء القبض على رئيسها بالاضافة إلى غيره من العاملين. وتم رفع الحظر في تموز (يوليو) ١٩٤٩م وتم الإفراج عن قادتها.

التمويل :

إن النفقات التي يتم انفاقها من قبل منظمة راشتريا سيواسنج (R.S.S.) على نشاطاتها ووظائفها هائلة الحجم، في حين أن مصادر إيراداتها سرية. لا أحد يعرف مصادرها.

إن إمكانات منظمة سانج (Sangh) هي الأقوى مقارنة بتمويل الأحزاب السياسية الأخرى. وتدعي سانج (Sangh) بأنها لا تملك أموالا ولا حسابات، بالرغم من أنها تنفق الملايين على نشاطاتها الكثيرة. وعملياً في جميع الأقاليم فإن المدربين التابعين لـ (سانج) (Sangh) هم عملاء مدفوع لهم. ويتم توفير سيارات الجيب والسيارات والدراجات النارية لهؤلاء العملاء وغيرهم من العاملين.

ويوجد لدى منظمة راشتريا سيواسنج (R.S.S.) فيالق من آلاف

العاملين طوال الوقت والذين يطلق عليهم اسم (براشراكس) "Pracharaks" إلى جانب ذلك يوجد لديها معدات تتطلب مبالغ ضخمة ونفقات هائلة. ويوجد لدى سانج (Sangh) مكاتب ومكتبات وقاعات للاجتماعات ذات تجهيز جيد. ويتم إنفاق المال على الوظائف العامة الكبيرة أيضاً. وبوضوح يعني ذلك إنفاق ملايين الروبيات.

العضوية :

وكما في مصادر الدخل كذلك الأمر في العدد الإجمالي لأعضاء منظمة راشتريا سيواسنج (R.S.S.) . ويتم الاحتفاظ بهذا الأمر كسر من الأسرار. وفي الواقع أن هذا يناسب المنظمة جيداً. وتقدر عضوية منظمة راشتريا سيواسنج (R.S.S.) بأنها تتراوح بين (١) إلى (٢) مليون.

لكن الأمر الذي يعتبر على قدر كبير من الأهمية هو العمل الفعلي الذي يتم تنفيذه من قبل الشكها (Shakha) وبرامج التدريب المتبعة. أن الشكها (Shakha) الخاص بمنظمة راشتريا سيواسنج (R.S.S.) يتضمن برامج تدريبية على اللاثي (Lathi) والسيوف ورمي الرماح، وكل هذا باسم التدريب الجسدي. والهدف من وراء مثل هذه الألعاب هو اكتساب النزعة القتالية والتدريب على ذلك من أجل مواجهة أي نوع من الصراع المدني مثل الشغب الطائفي. وهذا النوع من التدريب الجسدي بالإضافة إلى الألعاب التي يتم فيها التأكيد مرة أخرى على تطوير التضامن الحزبي.

ومن المميزات الأخرى البارزة في الشكها (Shakhas) هي الأغاني التي يتم أداؤها بشكل جماعي. وجميع هذه الأغاني تتضمن مواضيع الدعوة لإحياء الدين وتمجد ماضي الطائفة الهندوسية وتعمل على تقويض الطوائف الأخرى خفية.

ويقع الأولاد الصغار بسهولة في الشرك باسم الثقافة البدنية. ونظراً لأن عقولهم لم تنضج بعد فإنهم يقعون ضحايا للدعاية الخبيثة التي تختبأ في هذه القصص والمحاضرات.

معسكر التدريب :

إن معسكرات التدريب لموظفي منظمة راشتريا سيواسنج (R.S.S.) تعقد كل سنة في كل ولاية. ومن بين كادر المتدربين في هذه المعسكرات يمكننا استخلاص موكيا شيكشاكس (Mukhya Shikshaks) وجان براموكس (Gan Pramukhs) وبراشاراك (Prcharak) .

رئيس منظمة راشتريا سيواسنج (R.S.S.) :

إن سار سانج شالاك (Sar Sangh Chalak) هو بمثابة الزعيم هتلر. وهو يعتبر الفيلسوف والمستشار والمتحدث الوحيد والنهائي باسم المنظمة. وهذا المنصب ليس اختيارياً وفلسفة منظمة راشتريا سيواسنج (R.S.S.) تعظم من شأنه كنموذج تقليدي للمجتمع الهندوسي. ويرشح رئيس المنظمة خليفته ولا يتم إجراء انتخابات. وكان مؤسس منظمة راشتريا سيواسنج (R.S.S.) الدكتور هيدجيوار (Hedgewar) قد رشح المدعو م. س. جولوالكر (M.S. Golwalkar) خليفة له، والذي بدوره عين المدعو بالا صاحب ديوراس (Bala Saheb Deoras) ليكون الرئيس المنتظر لمنظمة راشتريا سيواسنج (R.S.S.).

إن سار سانج شالاك (Sar Sangh Chalak) هو السلطة العليا وكلمته هي الكلمة الأخيرة في أي قضية تواجه المنظمة. وهو متفرغ تماماً وليس مسؤولا عن الأعباء الروتينية في الوظائف الإدارية.

وهناك اعتقاد شائع بين أبناء منظمة راشتريا سيواسنج (R.S.S.) حول زعيمهم الأعلى جولوالكر (Golwalkar) بأن :

١ ـ جوروجي (Guruji) ـ أي المرشد ـ هو الرجل الوحيد من نوعه في البلاد. وهو رجل فوق البشر وهو نفس وروح منظمة راشتريا سيواسنج (R.S.S.).

٢ ـ وهم يحبونه أقصى درجات الحب ويعتقدون بأنه لا يمكن أن يخطىء في قيادتهم. أنه معصوم من الخطأ.

٣ ـ جوروجي (Guruji) يستطيع التنبؤ بالمستقبل ولذلك فإنه يدعى يوغدرشتا (Yugdrashta).

٤ ـ هو لا يقرأ الصحف اطلاقاً. وبإمكانه أن يعرف الأخبار من خلال التأمل.

٥ ـ إن صدره في صلابة الحجر لأنه يراقب آخاند براهمشاريا (Akhand Brhamcharya).

٦ ـ إنه يتصل شخصياً بأكبر عدد من (Indiciduals) في العالم.

٧ ـ إن لديه أفضل وأقوى ذاكرة.

٨ ـ إنه متمكن جداً من الكتب الهندوسية المقدسة وقد قرأ (٢٦٠٠٠) كتاب.

٩ ـ إنه يرتاح قليلا ولا يشكو أبداً من الألم.

١٠ ـ هو واحد من أفضل الخطباء.

ونفس الاعتقادات استمرت أيضاً فيما يتعلق بخلف جولوالكر (Golwalkar).

إن جان سانج (Jan Sangh) هو حزب سياسي تم تأسيسه من قبل شياما براساد موخرجي (Shiama Prasad Mukherjee) في الخمسينيات. ومعظم أعضاء (جان سانج) كانوا أعضاء في منظمة راشتريا سيواسنج (R.S.S.) وعندما تم تأسيس حزب جاناتا (Janata Party) في ١٩٧٧م انضم جان سانج إليه أيضاً. ولكن عندما حصل الكونجرس على السلطة في ١٩٨٠م وأصبحت السيدة (غاندي) رئيسة للوزراء قام زعماء حزب (جان سانج) القديم بمغادرة حزب (جاناتا) وشكلوا حزب (بهراتيا جاناتا) (Bharatiya Janta Party). والآن أصبح هذا الحزب هو الأقوى. ومعظم زعماء وأعضاء حزب (بهراتيا جاناتا) (BJP) هم أعضاء في منظمة (راشتريا سيواسنج) (R.S.S.).

وعلى الرغم من أن منظمة (راشتريا سيواسنج) (R.S.S.) تدعي بأنها ليست حزباً سياسياً فإن زعماءها ملتحقون بحزب (BJP).

وتدعي منظمة (راشتريا سيواسنج) (R.S.S.) أنها منظمة ثقافية ولذلك فإن أعضاءها لا يشاركون في الانتخابات تحت لوائها. ولكنهم يخوضون الانتخابات باسم حزب (BJP) وكانوا قد تعودوا في الماضي المنافسة في الانتخابات تحت قائمة مرشحي (جان سانج) (Jan Sangh).

وقد أخفق حزب (BJP) كثيراً في البداية. ولم يكن له سوى عضوين في البرلمان منذ سنوات قليلة. والآن له عدد كبير من الأعضاء (١١٩) عضواً في البرلمان. وقد كسب الانتخابات عن طريق إثارة المشاعر الطائفية باسم مسجد (بابري ومعبد رام جنمبهومي) (Ram Janmabhumi) وفي الحقيقة أن جميع هذه التكتيكات قد عززت منظمة (راشتريا سيواسنج) (R.S.S.) التي كان أعضاؤها في طليعة قضية مسجد (بابري) و(رام جنمبهومي).

وقد شكل حزب (BJP) ومنظمة (R.S.S.) حكومات في راجستان (Rajasthan) و(مديابراديش) (Madhua Pradesh) وهميشال براديش (Himachal Pradesh) واتر براديش (Utra Pradesh) مما جعل مركزهم قوياً جداً.

وعلى ذلك عندما حدث تدمير المسجد (البابري) في أيودهيا(Ayodhya) في السادس من كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٢ كان أعضاء منظمة (R.S.S.) قد تلقوا تدريباً خاصاً. ولهذا السبب فإن البناء الذي يبلغ عمره (٤٦٠) عاماً قد تم تدميره في أقل من خمس ساعات.

وقامت مظاهرات في أنحاء البلاد وفي أماكن أخرى في أنحاء العالم احتجاجاً على تدمير المسجد. ومن ثم حدثت سلسلة من الاضطرابات في (الهند) وقد لعب أعضاء منظمة (راشتريا سيواسنج) (R.S.S.) دوراً كبيراً في قتل المسلمين. وقد تورط أعضاء منظمة (R.S.S.) في جميع أحداث الشغب بدون استثناء.

وبعد تدمير المسجد (البابري) وبعد المظاهرات في شتى أنحاء العالم احتجاجاً على ذلك قامت الحكومة بفرض حظر على منظمة (R.S.S.) وأربع منظمات أخرى. وهذه هي المرة الثالثة التي يتم فيها فرض حظر على منظمة (R.S.S.) .

ففي شباط (فبراير) ١٩٤٨ تم فرض حظر على منظمة (راشتريا سيواسنج (R.S.S.) للمرة الأولى بعد مقتل (مهاتما غاندي) من قبل عامل من منظمة (R.S.S.) هو ناثو رام جودسي (Nathu Ram Godse) في (٣٠) كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨.

وفي حزيران (يونيو) ١٩٧٥م تم فرض حظر على منظمة (R.S.S.)

ومنظمات طائفية أخرى من قبل السيدة (أنديرا غاندي) التي فرضت الطوارىء في (الهند) في (٢٥) حزيران (يونيو) ١٩٧٥.

والآن هذه هي المرة الثالثة التي يتم فيها فرض حظر على منظمة(R.S.S.) في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٢ بعد تدمير المسجد (البابري).

رئيس المنظمة والأعضاء الآخرون :

بالا صاحب ديوراس (Bala Saheb Deoras) هو رئيس منظمة (راشتريا سيواسنج) (R.S.S.) . وقد ورث (جورو جوالكر Guru Golwalkar) كزعيم للمنظمة. ويسكن في نجبور (Nagpur) حيث يقع مركز قيادة منظمة(R.S.S.) وهو رجل مسن ويواصل عمل الدعاية المعادية للمسلمين.

هـ. ف. سيشادري (H. V. Seshadri) هو السكرتير العام له. وهو المريد المخلص لقادته ويعمل طوال الوقت.

والبروفيسور راجيندرا سنج (Rajendra Singh) هو السكرتير العام المساعد لمنظمة (R.S.S.) . وقد كرس حياته أيضاً من أجل قضية منظمة (R.S.S.) .

وهؤلاء الثلاثة هم فقط أصحاب المناصب في منظمة(R.S.S.) والمعروفون للعالم. ولكن أعضاء المنظمة هم من بين كبار رجال حزب (BJP) . ومن بين الأعضاء الفعالين والبارزين:

١ ـ ل. ك. أدفاني (L. K. Advani) •

٢ ـ مورلي منوهر جوشي (Murli Manohar Joshi) •

٣ ـ م. ماثور (M. Mathur)•

٤ ـ سندر سنج بهنداري (Sunder Singh Bhandari) •

٥ ـ مدان لال خورانا (Madan Lal Khurana) •

٦ ـ ف. ك. ملهوترا (V. K. Malhotra) •

٧ ـ كيدارناث سهني (Kidarnath Sahni) •

٨ ـ الدكتور باندي (Dr. Pnade) •

٩ ـ ك. ل. شجوالكر (K.L. Shejwalker) •

١٠ ـ حكم سنج كشواهي (Hukum Singj Kachwahe) •

١١ ـ أتال بيهاري فاجبائي (Atal Bahari Vajpar) •

١٢ ـ الدكتور شيتلا شهاي (Dr. Shitla Shhai) •

١٣ ـ مهراني سينديا (Maharani Scindia) •

ومعظم أعضاء البرلمان من حزب(BJP) هم أعضاء في منظمة راشتريا سيواسنج (R.S.S.) •

ورئيس الوزراء الحالي السيد (ب. ف. نرسيمها راو(P. V. Narsimha Rao) يقال أيضاً بأنه كان عضواً فعالا في منطقة (R.S.S.) في الماضي. وكان قد لعب دوراً هاماً في ادماج ولاية حيدر آباد في الاتحاد الهندي في ١٩٤٨ عندما قام وزير الداخلية آنذاك سردار باتيل (Saradar Patel) • فأدخل قوات الشرطة هناك حيث تعرض المسلمون للاضطهاد والمعاناة.

برنامجها الرئيسي :

بعد تدمير المسجد البابري وفرض الحظر على منظمة راشتريا سيواسنج (R.S.S.) . فإنها تقوم برسم الخطوط الكبرى لبرنامجها في المستقبل. وعلى الرغم من أنه تم فرض حظر عليها من قبل الحكومة إلا أن أعضاءها قد بدأوا في العمل تحت اسم آخر. وقد أطلقوا عليها اسم (رام سيواسانج) (Ram Sevak Sangh) (R.S.S.) . بدلا من (راشتريا سيواسنج) (R.S.S.) . وهي متورطة حالياً بعمل دعاية ضد المسلمين والحكومة. وفيما يلي برنامجها الرئيسي:

١ـ القيام بشن حملة لجمع الملايين من التوقيعات من أجل بناء معبد في أيودهيا.

٢ ـ إنها تنشر مرة أخرى بأن الحكم الإسلامي في (الهند) كان حكماً أجنبياً وأن جميع المباني والمعالم التي قام بعملها الملوك المسلمون تعتبر من آثار الاستعباد.

٣ ـ إنهم يحاولون الآن الادعاء بأن مسجدي بنارس (Varanasi) متهرا (Mathura) هما معبدان هندوسيان ويطالبون أيضاً بهدمهما.

٤ ـ وقد ادعوا أيضاً مع فيشوا هندو براشد (Vishwa Hindu Parishad) بأن المسجد الكبير في (دلهي) قد تم بناؤه عن طريق هدم معبد للهندوس ولذلك فإنه ينبغي أن يهدم أيضاً.

٥ ـ أنهم يخططون لتدمير معظم المعالم التاريخية التي تم بناؤها من قبل ملوك المسلمين بما في ذلك تاج محل.

٦ ـ وهم يخططون أيضاً للإطاحة بحكومة الكونجرس الحالية وعقد

الانتخابات في منتصف الفترة بحيث يحصل حزب (BJP) على جميع أصوات الهندوس.

٧ ـ القيام بشن حملة بأن المسجد يجب أن لا يبنى في أيودهيا (Ayodhya) في الموقع الذي كان يقوم فيه المسجد البابري، وهم مستعدون للموت في سبيل منع تنفيذ وعد الحكومة ببناء مسجد في أيودهيا (Ayodhya).

٨ ـ إنهم يخططون لنشر الفلسفة الهندوسية (Hindutva) ضد الإسلام.

٩ ـ وقد أصدرت (R.S.S.) إعلانات يدوية تؤكد على مبادىء حاقدة لأعضائها. منها:

أ ـ إذا كنت تعمل لدى أسرة مسلمة قم بإنشاء علاقة غير مشروعة مع النساء المسلمات بحيث يكون لدى الطفل المولود عن هذه العلاقة تعاطف مع الهندوس.

ب ـ ينبغي على الأطباء الهندوس أن لا يسمحوا بأداء الأذان في آذان مواليد المسلمين.

جـ ـ يجب أن يحاولوا اكتشاف ما الذي يفكر فيه المسلمون ويخططون له. وينبغي أن يخلقوا الذعر لدى المسلمين.

د ـ ينبغي على العضو الواحد في (R.S.S.) أن تكون لديه الشجاعة لمواجهة (١٠) مسلمين على الأقل.

هـ ـ ينبغي أن يحاولوا إلحاق الأذى بالمسلمين بأي شكل من الأشكال.

هيئة إسلامية مماثلة :

عندما تصاعدت تجاوزات الـ .R.S.S (منظمة راشتريا سيواسنج) الهندوسية المتطرفة ضد المسلمين ارتأت القيادة المسلمة في (الهند) إنشاء هيئات اسلامية مماثلة على نسق الـ .R.S.S . وقام بإحدى تلك الخطوات (سيد أحمد بخاري Sayed Ahmad Bukhari)، نائب إمام مسجد جامع في (دلهي) الذي شكل هيئة آدم سينا. التي ظلت ناشطة لفترة من الوقت وخططت لتدريب المسلمين وفق المعدلات التنظيمية القتالية للهندوس لكنها خمدت بعد ذلك.

سيواك سانج الإسلامية :

لقد تشكلت سيواك سانج الإسلامية (.I.S.S) في كيرالا (Kerala) في شتاء عام (١٩٩٠م) حيث تمتد فروعها في أجزاء أخرى من الولاية. وقد شكلت بغرض حماية المسلمين من المنظمة القتالية الهندوسية الـ .R.S.S . وأيدت قضية الجماعة المسلمة حتى باستخدام العنف.

وفقا لرئيس رابطة المسلمين الهنود تشكلت الـ .I.S.S للدفاع عن الذات.

و(عبد الناصر مدني Abdul Nasser Madani) هو رئيس الـ .I.S.S وتم انتقاده من قبل قسم من رابطة المسلمين نفسها. وقد نعت وزير الداخلية الاتحادي السابق (ام. ام جاكوب M. M. Jacob) الـ .I.S.S بمناوءة الوطنية. ولم ترحب الـ .R.S.S على الاطلاق بهذا الأمر وبذلت ما بوسعها للاضرار به. وفي نهاية الأمر اطلقت قنبلة على رئيسها (عبد الناصر مدني) مما خلق ضجة بين مواطني كيرالا الذين انغمسوا في العنف.

وقد طلب قائد حزب بهاراتيا جـناتا (أتال بيهاري فاجبائي Atal Behari Vajpei من الحكومة معـاقبة (مدني) الذي وفقا لوجهـة نظره لديه صلات مع (باكستان).

ومع ذلـك، فقد تم حـظر سـيواك سانج الإسـلامية أيـضاً فـي ديسمـبر (كانون الأول) (١٩٩٢م) إضافة إلى (في اتش بي .V. H. P ، آر اس اس .R. S. S ، باجرانج دال Bajrang Dal والجماعة الإسلامية Jamaati Islami) بعد تـدمير المسجـد البابري. وقد فَرّ رئـيسها السـيد (مدني) من الـشرطة وأسس حركة سرية. ولكنه أضعف الـ (.I.S.S) بقوله: أن هدفها الرئيسي يكمن في مكافحة الـ (.R.S.S). وعندما حظرت الحكومة الـ (.R.S.S) فإن الـ (.I.S.S) حققت هدفها وبالتالي فقد حلها.

ومنذ بضعة أيام فقط سلم (مدني) نفسه للشرطة.

منظمات هندوسية أخرى مناهضة للمسلمين :

إضافة إلى الـ .R.S.S هنالك عدة منظمات هندوسية طائفية متعصبة كـ (فيشوا هنـدو باريشاد Vishwa Hindu Parishad) ، بـاجـرانج دال (Bajrang Dal) ، شيف سينا (Shiv Sena) ، وبالطبع حزب بهـاراتيا جناتا (Bahartiya Janata) . وفي مايلي تفاصيل حول تلك المنظمات:

فيشوا هندو باريشاد :

فيشوا هنـدو باريشاد (V. H. P) هي منـظمة تضم هـندوساً متعـصبين يكنـون عداء للمسـلمين. ولقد أعلـنت في البدايـة حماية حقوق الـهندوس لكـنها تبنـت فيـما بعد مـواقف متطـرفة. حيـث بنت معـبد رام Ram في أيودهـيا. ويخـتلف زعـماؤها مـع حكومـة حزب بهـاراتيا جـناتا فـي أترا

براديش الذي يرغب في تنصيب نفسه كحزب علماني. وفي الواقع فإن حكومة حزب بهاراتيا جناتا لأترا براديش كانت خائفة أيضاً من كون المتعصبين الهندوس أظهروا عزماً على تدمير المسجد. لقد قامت المنظمة بدعاية كبيرة بين الهندوس بهذا الصدد وجمعت ملايين الروبيات لتدمير المسجد وبناء المعبد. ورغم أن المحكمة أمرتها بعدم إنشاء المعبد لكنها لم تصغ لأوامر المحكمة. كما أن حكومة (الهند) حصلت منها على تأكيد بعدم تدميرالمسجد البابري لكنها واصلت مخططها بشأن تدمير المسجد بمساعدة عمال الـ R.S.S. .

إن عدم انصياع المنظمة لأوامر المحكمة يعني أنها منظمة قوية كما أن حكومة حزب بهاراتيا جناتا أيدتها أيضاً.

ولم تقم حكومة أترا براديش بأي عمل ضدها تحت ذريعة أنها لا ترغب في استخدام القوة التي قد تسفر عن خسائر لا تحصى في الأرواح. وفي الواقع فإن الـ (في اتش بي V. H. P.) أفسدت الجو على نحو سيء جداً لدرجة أن الطائفية بلغت ذروتها وأضحت البلاد بأسرها في قبضة الطائفية.

وتمول الـ (V. H .P.) من كافة المنازل الصناعية الهندوسية في (الهند). بل إن أشخاصاً من الخارج أيضاً يقومون بالتبرع بأموال كثيرة لإنشاء المعبد.

وتسعى الـ V .H. P. لإعادة الهندوس الذين اعتنقوا الإسلام إلى الهندوسية. ووقعت عدة أحداث من هذا النوع في بعض ولايات (الهند) خاصة راجستان (Rajasthan) حيث كانت هناك حكومة نافذة لحزب بهاراتيا جناتا.

وعمال الـ V. H. P. هم مقاتلون بمعنى أنهم يهاجمون أي شخص يعارضهم.

إن فيشنو هاري دالميا (Vishnu Hari Dalmia) هو رئيس الـ V.H.P. وأشوك سنجال (Ashok Singhal) هو سكرتيره وكلاهما يغاليان في التطرف.

باجرانج دال :

إن باجرانج دال (Bajrang Dal) هي أيضاً منظمة طائفية هندوسية لديها أيضاً برنامج يحوي نقطة واحدة هي إنشاء معبد في أيودهيا. إن فيناي كاتيار (Vinay Katiar) هو زعيم باجرانج دال والذي أمر بتدريب اتباعه على هدم المسجد وفي نهاية الأمر ساعد الـ R.S.S. ، الـ V.H.P. والـ (شيفا سينا) على هدمه ولديها الآن برنامجاً واحداً فقط لإنشاء معبد رام في أيودهيا في نفس الموقع الذي كان عليه المسجد البابري.

شيفا سينا :

شيفا سينا هي منظمة مقاتلة من الهندوس الشوفيين (المغالين في التعصب للوطن) من ولاية مهاراشترا. أسست عام (١٩٦٧م) في (بومباي) من قبل بال ثاكراي (Bal Thackeray) .

بادىء ذي بدء شنت الـ (شيفا سينا) حملة مناوئة لكل شخص لا ينتسب إلى مهاراشترا واعتبرت جميع الجوجاراتيين والهنود الجنوبيين دخلاء على مهاراشترا وقد أنذرهم ثاكيراي بمغادرة مهاراشترا وتركها فقط للمهاراشتريين.

ولكن فيما بعد تخلت الـ (شيفا سينا) عن هذه السياسة وأكدت على النشاطات المناهضة للمسلمين وهاجمت العلمانية.

لقد كان بـال ثاكيراي موظفـاً لدى جريدة الصحـافة الحرة Free Press لكنه ترك الجريدة فيمـا بعد وأسس جريدة مارميك (Marmik) الدورية في (١٣) أغسطس (آب) (١٩٦٠م). وساهـم في كـتابـة عمـود فيـها بـدا طائفياً في طبـيعته، نارياً في روحه ومثل خطراً علـى المسلمين. ومن ثم قرر تشـكيل منظمـة للحفاظ علـى حقوق المهاراتـريين وحمايتهـا، أطلق والده عـلى المنـظمة اسـم (شيفـا سينا) وجـعل من الـنمر رمـزاً لها. لـقد أصبحت منظمـة لشباب الـ (مهاراشتريين). ومنذ ذلـك الوقت فصاعداً أصبح ثاكيري المخلص المنتظر للـ (مهاراشتريين).

لقد ادعى الأولوية للـ (مهاراشتريين) فـي التعليم، التوظيـف، الغذاء، الإسكان وجـميع الأمور الأخرى. وفي الـواقع، أراد تحرير مهـاراشترا من جـميـع الدخـلاء. وهو يـحبذ العـنف المحـكم الـذي يؤدي إلـى إراقة الدماء.

في عـام (١٩٦٨م) شكـل ثاكـيراي اتحاداً تجـارياً يـدعى «بـهاراتـيا كامجار سانج» وناضل للحصول على حقوق العمال.

واشتركت الـ (شيفا سينا) في الانتخـابات المدنية والتشريعية وكسبت عدداً جـيداً من المقـاعد ـ بالـطبع بمـساعدة الكـونجرس ـ وخلال فـترات الطواريء (١٩٧٥ ـ ١٩٧٧م) ظل ثاكيراي صامـتاً ولم يعارض قانون الكـونجرس. وعـندمـا خسر الـكونجـرس عام (١٩٧٧م) قـرر ثاكـيراي إدارة المنظمة بمفرده دون مساعدة من أحد.

إن الشيفـا سينا مناهضـة للمسلمـين. لقد أصبحت مسـؤولة عن عدد من أحداث الـشغب الطائـفية. وفي مـايو (أيار) (١٩٣٤م) انهمـكت في أحداث الـشغب الـطائفـية الـتي وقعـت في بيـوانـدي (Bhiwandi) والتـي

أسفرت عن (٢٧٥) قتيلا. ومن ثم اندلعت أحداث الشغب الطائفية في أماكن عدة من مهاراشترا وبدأ الشعب بوصف الـ (شيف سينا) بـ «فرقة الشغب».

وفي عام (١٩٨٨م) تبجح (ثاكيراي) بافتتاح فروع للشيفا سينا في (جامو وكشمير، البنجاب، جوجارات، اندرا براديش وكرناتكا). وبحلول ذلك الوقت كان لديها (١٠،٠٠٠) فرع في قرى مهاراشترا. وهتف ثاكيراي بالشعار الذي يقول «البلد تنتمي لي وأنا أنتمي إلى البلد».

هذا وقد خاضت الشيفا سينا في فبراير (شباط) (١٩٩٠م) انتخابات مجلس مهاراشترا بالإتحاد مع حزب بهاراتيا جناتا لكنها لم تحرز سوى (٥١) مقعداً بينما حصل حزب بهاراتيا جناتا على (٤٢) مقعداً في مجلس تشريعي يضم (٢٨٨) عضواً. وأحرز الكونجرس (١٤٢) مقعداً.

وقد نجم عن هذه الهزيمة اصابة ثاكيراي بنوبة قلبية أدت إلى إقامته في المستشفى. وظل شاريد بوار (Shared Pawar) في السلطة بينما خسر ثاكيراي اتباعه. وعزا (ثاكيراي) هزيمته للافتقار إلى الأموال. لقد ظن أن اتباعه الكبار خدعوه واحتالوا عليه ولم يطلعوه على الحقائق.

ويسير تركيب الشيفا سينا بموازاة راشتريا سوايام سيواك (R.S.S.) تقريباً. فهي منظمة مقاتلة تؤمن بتفوق السلالة الهندوسية. وتؤيد التحول إلى الهندوسية. لقد ظلت منهمكة في أحداث العنف وإراقة الدماء. ويدعى أتباعها الـ Sainiks (الجنود) الذين يعتبرهم الشعب سفاحين وقطاع طرق. وتؤمن (السينا) «باستراتيجية رصاصة مقابل رصاصة». ومن وجهة نظر (ثاكيراي) فإنه لا ينبغي محاكمة ارهابيي (كشمير)، بل مجرد قتلهم لكونهم جميعاً خونة.

ويتخذ (ثاكيراي) من (هتلر) مثلا أعلى له. فهو يحتفظ بصورة (لهتلر) على مكتبه ويقول بفخر «أنا ديكتاتور وأي قرار أتخذه ينفذ من قبل حزبي».

وعندما كان من المقرر لفريق الكريكيت الباكستاني أن يقوم برحلة إلى (الهند) للعب مباراة في (بومباي) صرح (بال ثاكيراي) إنه لو تمت المباراة فإنه سيحرق الملعب إذا لعب فريق الكريكيت الباكستاني في (بومباي). وعندما ألغى الفريق الباكستاني الرحلة عمد (ثاكيراي) إلى تنظيم اجتماع للاحتفال بانتصار الحزب عن طريق حرق صورة ضخمة لارهابي باكستاني. وصرح قائلا: «لطالما آمنت بالنضالية. لقد تبنيت القضية الباكستانية لما تحمله من أهمية وطنية، وليس لمجرد شعوري للقيام بعمل ما».

كما أن للـ شيفا سينا جناح من الطلاب يدعى بهاراتيا فيديارثي سينا.

و(بال ثاكيراي) مناهض للمسلمين. وما فعله (هتلر) مع اليهود في (ألمانيا) يرغب ثاكيراي تكراره مع المسلمين. ويقول صراحة أنه «إذا تصرف المسلمون كالباكستانيين فإني سوف أقضي عليهم».

وهو يكن كرهاً للمسلمين وكذلك لـ (مهاتما غاندي). حيث قال مرة: «إن المهاتما غاندي لم يحل أي مشكلة بل إنه خلق مشكلات... لم يسبق لي أن أحببت ذلك الرجل، إني أكره الذين يدللون أو يلاطفون المسلمين». إنه مؤمن صارم بالهندوسية. إنه متعصب حقاً. ويقول بهذا الصدد «الهندوسية ليست موجة. لقد أصبحت متنفساً للبلاد. إنها ما نحتاجه اليوم».

لقد عزز (ثاكيراي) موقف الهندوس وغالباً ما يقول: «لقد جمعنا

ودائع كبيرة في بنوكنا الهندوسية المساهمة وسيتم اثبات هذا بمجرد قيامنا بالانسحاب وقت الانتخابات».

و(ثاكيراي) ديكتاتور ويمقت الانتخابات. ويقول: «لو أني أمسكت بزمام الأمور، فسوف أحظر جميع الانتخابات لمدة (١٥) أو (٢٠) عاماً.

وعضوية الـ (شيفا سينا) تستمد إلى حد كبير من الطبقات الوسطى المتدنية ومن الطبقات المتدنية. ويتم تحصيل أموال الحزب غالباً عبر الابتزاز من كبار الملاك، أصحاب الحوانيت، رجال الأعمال والسكان الفقراء. وعملياً فإن كل شخص هو هدف للـ (شيفا سينا).

إن منوهار جوشي Monohar Joshi، بارمود نفالكارParmod Navalkar و سدير جوشي Sudhir Joshi هم الزعماء الذين يحتلون المرتبة الثانية في (الشيفا سينا) ويتسمون بالإخلاص ومن المتوقع أن يقودوا المنظمة بعد غياب (بال ثاكيراي). ولكن ورد أن (ثاكيراي) كان يعد ابن أخيه (راج ثاكيراي Raj) وابنه (يودهاف Uddhav) لزعامة الحزب.

لقد لعبت الـ (شيفا سينا) دوراً هاماً في هدم المسجد (البابري) وساعدت الـ (في اتش بي، آر اس اس، وباجرانج دال) في هذه المهمة. وعندما أذيع الخبر على الهواء والذي أفاد أن أعضاء حزبه هم الذين هدموا المسجد ورد عن (ثاكيراي) قوله: لو أن التقرير بأن أفراد (الشيفا سينا) هدموا المسجد (البابري) كان صحيحاً، عندئذ فسوف أشعر بالفخر بهم».

ولم تحظر الـ (شيفا سينا) من قبل الحكومة رغم مسؤوليتها المتكافئة في هدم هذا المسجد.

حزب بهاراتيا جناتا (B. J. P) :

لقد شكل رسمياً في أبريل ـ مايو (آيار نيسان) (١٩٨٠م). ويضم في معظمه أعضاء من حزب جناتا الذين كانوا منضمين إلى الـ (جان سانج Jan Sangh) . وهناك آخرون كثيرون تركوا حزب جناتا لينضموا إلى حزب بهاراتيا جناتا. وإحدى القضايا الرئيسية التي شهدت شجاراً متواصلا في حزب جناتا عندما كان في السلطة كانت مشكلة القيادة المزدوجة. والعديد من أعضاء الـ (جان سانج) السابقين كانوا أيضاً في الـ (آر إس إس) وادعت الأخيرة أنها منظمة ثقافية فقط. ولكن ادعى الآخرون خاصة شودري شاران سينج Chaudry Charan Singh ، (إس اتش ان باهوجونا Bahuguna) و (راج نارايـن Raj Narain) أنه لا ينبغي لأحد أن يصبح عضواً في حزب جناتا إذا كان عضواً أيضاً في الـ (آر إس إس). كما تزعم الـ (آر إس إس) أيضاً أنها منظمة طائفية تؤمن بالوطن الهندوسي. وقد أنكر أعضاء الـ (جان سانج) السابقين تلك الاتهامات. وفي الواقع، فقد ادعى (شري ال. كيه. ادفاني Shri L. K. Advani) أنه فخور بارتباطه بالـ (آر إس إس). ويشعر الناس عموماً أن أداء الوزير السابق لـ (جان سانج) (أتال بيهاري فاجبي Atal Bihari Vajpayee) و (ال. كيه ادفاني) كان جديراً بالثناء.

ومع ذلك فقد اختلف حزب جناتا حول قضية العضوية الثنائية. وأخيراً.. فإن أولئك الذين يعتبرون قضية العضوية الثنائية عبئاً وغير جديرة بالاعتبار اجتمعوا في (نيودلهي) وقرروا الانفصال عن حزب جناتا. ومن ثم أسسوا حزب بهاراتيا جناتا وانتخبوا (أتال بيهاري فاجبائي) رئيساً لهم. كما تم انتخابه أيضاً زعيماً لجماعة حزب بهاراتيا

جنـاتا التـابعة لــ (لوك سبـها). وعقد حـزب بهاراتـيا جنـاتا أول اجتـماع وطنـي له فـي (بومـباي) فـي ديسـمبـر (كانـون الأول) (١٩٨٠م). وقال (فاجـبي) في خـطابه الرئـاسي: «إن انفـصالنـا عن حزب جنـاتا لم يـكن مدعاة لسرورنا. إن اقحام قضية العضوية الثنائية غير الجديرة بالاعتبار وجعلها قضيـة رئيسية خلق وضعاً جعل من المحال علـينا الاستمرار في الحزب بشرف واحترام للنفس». ويتولى (مورلي مانوهار جوشي Murli Manohar) حالياً رئاسة الحزب.

إن حزب بهاراتيا جنـاتا يعتمد على الكادرات. وهو يضـم عمالا شباناً معـظمـهم كـان يتـبع الـ (آر اس اس). وهـم عمـال مخـلصـون ويحـبون الشيـوعيين، وعلى استـعداد للقيام بـأي تضحية للـبلاد بناء لرغبـة قيادة الحزب. إن كادراته الشابة هي أعظم ذخر للحزب.

لقد اسـتغل حزب بهـاراتيا جناتـا الدين في الانتـخابات. ولم يكـن لديه سوى عـضوين فـي مجلـس البرلمان (لـوك سبهـا) الأخير. ولـكن عنـدما جعل من بناء معبد رام في أيودهيا كـبرنامج من نقطة واحدة عزز بنجاح أصوات الهـندوس وأحرز (١١٩) مقـعداً في الـ (لوك سـبها). وزعيـمها (ال. كيه. ادفاني) هو زعيم المعارضة.

ولم يعزز مقاعده في الـ (لوك سبها) فـحسب، بل شكل أيضاً حكوماته في كل من ولايات (أترا براديش، راجستـان، هيماشال براديش ومادهيا براديش).

ولكن حكومة حزب بهاراتيا جنـاتا لـ (أترا براديش) هي التي ساهمت في هدم المسـجد البابري في أيودهيـا عبر الـ (Kar Sewaks) (في اتش بي، آر إس إس، باجرانج دال، وشيـفا سينا) رغم حقيقة أنها قدمـت تأكيدات

إلى البرلمان، المحكمـة العليا ومجلس الدمج الوطني من أنـه سيتم حماية المسجد البابري.

وفي أعقاب هدم المسجد البابري حلت الحكومة المركزية التي تشارك على نحو متساوٍ فـي عملية الهدم حلت حكومة حزب بهـاراتيا جناتا في أوتار براديش، راجستان، مادهيا براديش وهيماشال براديش.

وبعد (٤) أيام من هدم المسجد البابـري، أقدمت الحكومة المركزية في (١٩) ديسـمبـر (١٩٩٢م) على حـظر راشـتريـا سوايمسـيفـاك سانج، فيشوا هندوباريشاد، باجرانج دال، الجمـاعة الإسلامية الهندية وسيفاك سانج الإسـلاميـة. وقد حـظرت تـلك المـنظمـات بموجـب قانـون تحريم النشـاطات (المنع) لـعام (١٩٦٧م) في إعلان صـدر في جريدة رسـمية من قبل وزارة الداخلية الاتحادية. وقد قدمت لحكومات الولاية تعليمات بتنفيذ الحظر.

وجاء إعـلان وزارة الداخـليـة بهـذا الصـدد بعـد (٣) أيام مـن إعلان الحكـومة أنهـا سوف تحظر الـطائفية لمعـالجة الوضع الـناجم عـن هدم المسجد البابري في أيودهيا في (٦) ديسمبر.

وبالـنسـبة لـلـ(آر إس إس، في اتـش بي، وبـاجرانج دال) فـإن دوافع الحظر هي الاشـتراك المحدد في هدم المبـنى في أيودهيا. وجـاء حظر الـ (آر إس إس) للمـرة الثالثة بـعد (٦٧) سنة من تشـكيلها. وسـبق أن أثار عملا مماثلا بـعد اغتيال (المهاتما غاندي) عـام (١٩٤٨م) ومن ثم أثناء أيام الطواريء عام (١٩٧٥م).

وبصـرف النظـر عن الـقضـيـة المحددة بشـأن الهـدم، فإن الجمـاعات الثـلاث بجـانب الـ (آي اس اس)، قـد حظـرت لقيـامهـا بـ «تـنـميـة عدم

التآلف ومشاعر العداء، الكره والضغينة بين جماعات دينية مختلفة» وقد حظرت الجمعية لحثها على «الانفصال».

وبموجب شروط القانون، الذي تم استخدامه لحظر جماعات كـ (نمور تحرير تاميل ايلام (LTTE)، جبهة تحرير (جامو و كشمير) (JKLF) وجبهة التحرير المتحدة (آسوم) (ULFA) في الأيام الأخيرة، فإن الحظر سيظل ساري المفعول لمدة عامين.

وأي شخص يستمر في عضويته للجماعات المحظورة، بحيث يشترك في الاجتماعات، يساهم أو يتلقى أو يحث على مساهمة بغرض الارتباط غير القانوني أو يقوم بمساعدة الجماعة بأي طريقة أخرى ستتم معاقبته لفترة قد تمتد لعامين. كما أن القانون يمكن الحكومة من التبليغ عن أي مكان تعتقد أنه يستخدم من قبل المنظمات غير القانونية بصرف النظر عن حظر استخدام الممتلكات المنقولة.

كما أن أي شخص تسول له نفسه الاستمرار في المشاركة في النشاطات غير القانونية أو كل من يؤيد، يحرض، يحبذ أو يحث التنظيمات على القيام بمثل ذلك النشاط سوف يعاقب لمدة تمتد إلى (٧) أعوام. كما أن القانون يجيز للحكومة اتخاذ اجراءات صارمة بشأن الصفقات المالية لتلك المنظمات أيضاً.

وفي أعقاب اعتقال كبار زعماء الـ (.B.J.P. - V.H.P)، فرض الحظر على الـ (آر إس إس) وجماعات أخرى ذات صلة إضافة إلى الجمعية والـ (آي إس إس)، تلك هي الخطوة الثانية التي تتخذها الحكومة المركزية للتدخل حيال وضع طائفي سريع التدهور. ومنذ هدم المسجد البابري، دأبت الجماعات غير التابعة للـ (.B.J.P) على المطالبة بفرض

حظر على «الجماعات الطائفية». وبعد الحصول على رأي وزارة الشؤون القانونية، اتخذت لجنة مجلس الوزراء للشؤون السياسية قراراً بشأن الحظر.

موقف الحكومة :

لقد حظرت حكومة (الهند) تلك المنظمات لكنها لم تتصرف إزاء الـ (شيفا سينا) التي تشارك على نحو متساوٍ في مسؤولية هدم المسجد البابري. وعلى الرغم من ذلك، فقد طمأن وزير الداخلية الشعب بأن حظر الـ (شيفا سينا) هو أيضاً قيد الدراسة من قبل الحكومة. كما طالب أعضاء البرلمان بوجوب حظر الـ (B.J.P.) لكونها منظمة طائفية. لأن الحكومة قد حظرت الـ (آر إس إس) (في اتش بي) والـ (باجرانج دال) حيث صنفتهم كـ «طائفيين». واتهمتهم الحكومة بإثارة مشاعر طائفية في البلاد. وقد شكلت لاحقاً محكمتين لتأكيد اشعار الحظر برئاسة القاضيين (بي كيه باهري P. K. Bahri) و (بي ان ناج P. N. Nag).

وصرح مستشار الحكومة (آر. كيه. آنند R. K. Anand) في (١١) مارس (آذار) (١٩٩٣م) أن ناشطي الـ (آر إس إس)، والـ (في اتش بي) و(باجرانج دال) انهمكوا بنشاط في هدم المسجد البابري في أيودهيا في (٦) ديسمبر (١٩٩٢م). وقال: أن عدداً من زعماء تلك المنظمات ألقوا خطباً حماسية قبل الهدم. وأضاف أن أعضاء الـ (آر إس إس) كانوا يديرون النشاطات في ذلك اليوم في أيودهيا.

وضمن ردودها المذكورة أمام المحكمة، أنكرت المنظمات المحظورة الاشتراك في الهدم ولم يلق زعماؤها أي خطابات حماسية كما ادعت الحكومة. كما أشارت أيضاً أنها هيئات مستقلة وليست مترابطة مع بعضها.

لقد فندت الحكومة جميع تلك الادعاءات، وقالت: أن المنظمات لم تشترك في الهدم فحسب بل عمدت أيضاً إلى إلقاء خطب حماسية في (٦) ديسمبر. وقد ألحقت عدة مقتطفات من التقارير الاستخبارية مع الرد لاثبات وجهة نظرها.

وهناك دليل جوهري آخر قدمته الحكومة وهو النسخة من الصفحة (٣٤٦) من الشرائط السمعية الـ (٢٢) والتي تحوي أحاديث لـ (سادفي ريتامبارا Sadhvi Ritambara) ، (سوامي بارماننـد Swami Parmanand)، و(اوما بهاراتي Uma Bharati) و(أشوك سنغال Ashok Singhal) قبل حادث أيودهيا.

كما ألحقت الحكومة أيضاً تقريراً حول «دارام سانساد Dharam Sansad تم في (٣٠ - ٣١) أكتوبر (تشرين الأول) (١٩٩٢م) في العاصمة حيث تم اتخاذ قرار لهدم المعبد وقدمت الدعوة للناشطين للقدوم إلى أيودهيا في (٤) ديسمبر على أن يظلوا هناك حتى يتحقق هدفهم.

تناقضاً مع الادعاءات بأن تلك المنظمات لم تكن منحازة بشكل من الأشكال، ذكرت الحكومة على سبيل المثال أن باجرانج دال أسست لتعزيز نشاطات الـ (في اتش بي). ونص الرد على أن السيد (فيناي كاتيار) رئيس الـ (دال)، كان عضواً أيضاً في الـ (في اتش بي) وكان هناك عضوية ثنائية مماثلة.

وأشارت الحكومة أن (سادفي ريتامبارا) قد تحدث أيضاً في اجتماعات مختلفة نظمت من قبل الـ (في اتش بي) والـ (دال). كما أورد الرد عدة أحداث مماثلة.

والاعتراض الرئيسي الآخر للمنظمات ضد اشعار الحظر هو أن هدم

المبنى لا يمكن اعتباره جرماً يستوجب العقاب. ولكن الحكومة ذكرت أن الهدم تسبب في خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات وبالتالي فقد اعتبر جرماً.

وعلى الرغم من أن الحظر على المنظمات الطائفية الهندوسية قد لقي ترحيباً من قبل الناس لكنهم لم يسروا بدمج الجماعة الإسلامية في الحظر. حيث أن الحظر على الجماعة الإسلامية ليس له مايبرره كونها لم تشجع على الانفصال ولم تؤيد الطائفية.

تفجيرات بومباي :

تعتبر تفجيرات (بومباي) في (١٢) مارس (آذار) (١٩٩٣م) رد الفعل لهدم المسجد البابري رغم ما يقال أنها فقط لزعزعة الاقتصاد الهندي. لكن تورط عدد من المسلمين في الانفجارات يقدم دليلا على أنها حدثت بسبب الهدم أيضاً. ويقال أن الإخوة ميمان (Memon) هم وراء تلك التفجيرات والذين فروا أولا إلى (دبي) ومن ثم ورد أنهم وصلوا (جدة) حيث أن زعيم عالم الإجرام (داود إبراهيم Dawood Ibrahim) يؤدي مناسك العمرة في (مكة).

وتعزى التفجيرات إلى نشاطات الهدم التابعة للـ (آر إس إس) ومنظمات أخرى ويتضح ذلك من المقال التقريظي للصحافي المرموق (خوشوانت سينج Khushwant Singh) والذي نشر في طبعة (٢٠) مارس (آذار) في صحيفة هندستان تايمز، (نيودلهي). جاء فيه:

هنالك الكثير من الأسئلة التي تحتاج إلى أجوبة قبل أن نتمكن من اخماد التفجيرات المروعة في (بومباي) ويأتي في المقام الأول الاستفهام

عن جدارة الخدمات الاستخبارية. لماذا لم تعط معلومات موثوقة عن مخططات المنظمات الشريرة التي خططت ونفذت سلسلة من التفجيرات بدقة عسكرية؟ لا شك أنها الآن قد تغلغلت بين صفوف الكشميريين، البنجابيين، الـ (يو ال اف ايه) (ULFA)، الـ (LTTE) وجماعات إرهابية أخرى ولا ريب أن اتصالاتها الخارجية ستمكنها من السيطرة على هجماتها باعتقال الأعضاء قبل أن يتمكنوا من تسديد ضرباتهم. ولكن كما ظهر من مجريات الأمور فإن الخدمات الاستخبارية بغتت كما هو الحال بالنسبة لبقية البلاد. ليس من المستحسن إخبارنا بعد الأحداث أنهم جادون في تعقب المشتبه بهم، وأنهم أجروا اتصالات مع الانتربول، الموساد ووكالات استخبارية خارجية أخرى لتحديد معالم وأهداف تلك الجرائم ضد مجتمع متحضر. وهناك الكثير من الأسئلة بانتظار ردود من راو RAW المعنية بالاستخبارات الخارجية.

ورغم أن رئيس الوزراء قد نسب التفجيرات إلى خطة للاضرار بالانتعاش الاقتصادي، بيد أنه لا يمكن أن تصل به السذاجة حداً يدفعه للاعتقاد أن التفجيرات لا علاقة لها بالعنف الواسع النطاق المناوىء للمسلمين والمنظم من قبل مجندي شيفا سينا في أعقاب هدم المسجد البابري في أيودهيا. إن اختيار (بومباي) كهدف لا يمكن عزوه فقط إلى كونها أهم مدينة تجارية ولكن لأنه يتم على أرضها شكل من «التطهير العرقي» ضد المسلمين السيىء الطالع. ولقد أثار هذا حنقَ المسلمين في كافة أرجاء العالم ولديهم أسباباً مقنعة تبرر ارتيابهم أن تدمير المسجد وممارسة التميز العنصري ضد المسلمين حدثا بتغاض من الإدارة.

وأرجو أن تسفر هذه التجربـة الأخيرة عن تنبيه الـ (B.J.P.)، والأحزاب المتـداعية لـلسقـوط التي تـؤيدهـا والرجال والـنساء بمـلابس الزعـفران (أصفر وبرتقـالي) إلى حقيقة أن هنـاك عالم وراء عالمهم الضيـق يشعر بكـل ما يقـولون أو يفعـلون. لقـد خسروا الـشعور الودي لـلأمم المسـلمة بجـرح مشاعـر المسـلمين الـهنود. (والـهند) تـدفع اليـوم ثمـن التعـصب الأحمق والقصير النظر لأعضاء الـ (B.J.P.).

فهرس محتويات الكتاب



مطابع الفرزدق التجارية - الرياض
تلفون : ٤٨٢٤٨٦٥ - ٤٨٢٤٩٨٣